بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ابتداء دولة المغول
وخروج جنكيز خان

تأليف

العلامة أبي الثناء قطب الدين محمود بن مسعود
الشيرازي الشافعي
(٦٣٤ – ٧١٠ هـ)

ترجمة وتحقيق
يوسف الهادي

مراجعة
مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية/ شعبة المكتبة

كربلاء المقدسة/ ص.ب. (٢٣٣)/ هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ٢٥١

www.alkafeel.net
library@alkafeel.net
tahqiq@alkafeel.net

القطب الشيرازيّ، محمود بن مسعود بن مصلح، ٦٣٤-٧١٠ هجري

ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان= The Beginning =Ibtida' Dawlat Al-Maghol Wa Khurouj Genkeiz Khan of the Maghol Empire and the Departure of Genghis Khan / تأليف العلّامة أبي الثّناء قطب الدّين محمود بن مسعود الشّيرازيّ الشافعيّ ؛ ترجمة وتحقيق يوسف الهادي ؛ مراجعة مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.-الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة، ١٤٣٨ هـ =٢٠١٧.

١٩١ صفحة: صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم. -(مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة ؛ ٧٤)

يضم كشّافات.

يضم ملخصاً باللغة الإنجليزية.

النصّ باللغة العربية مترجم من اللغة الفارسيّة.

المصادر: صفحة ١٤٣- ١٦٤.

١. المغول والتتار-- تاريخ. ٢. المغول والتتار--. الملوك والحكام-- تراجم. ٣. بغداد (العراق)--تاريخ--الغزو المغول، ١٢٥٨. ألف. الهادي، يوسف، مترجم. ب. العتبة العباسية المقدسة. مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة (كربلاء، العراق). مركز إحياء التراث. ج. العنوان.

BS461.Q8125 2017

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد لسنة ٢٠١٦م: ٤٤١.

الكتاب: ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان.
تأليف: العلّامة أبي الثّناء قطب الدِّين محمود بنِ مسعود الشّيرازيّ الشّافعيّ (٦٣٤-٧١٠ هـ).
ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي.
مراجعة: مركز إحياء التراث.
الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.
الإخراج الفني: السيّد محمّد جبار العميديّ.
المدقّق اللغوي: الأستاذ علي حبيب العيدانيّ.
المطبعة: دار الكفيل - العراق - كربلاء المقدّسة.
الطبعة: الأولى. عدد النسخ: ٥٠٠.
التاريخ: ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - ٢١ آذار ٢٠١٧م.

كلمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الصادق الأمين، حبيبنا محمّد ﷺ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ.

في نظرةٍ استقرائيةٍ عميقة إلى ما تضمّنته مكتبتنا الإسلامية من مصنّفاتٍ تاريخية تنوّعت تبعاً للأحداث والوقائع التي مرّت بها الأُمة في حقبٍ زمنيةٍ متتابعة، ترى الغموضَ يشوبُ الكثيرَ منها، وما انفكّت أماراتُ الاستفهام تلازم العقول المنصفة في تبَيُّن حقيقة تلك المنقولات التي ساهمت بشكلٍ فعّال في رسمِ المسارات التاريخية لهذا الحدث أو ذاك؛ فوجود أَثِيثٍ من التناقضات من بين تلك المروّيات التاريخية التي تظهر جليّاً لمَن جانب التعصُّب والعناد يُوقعه في حَيرةٍ فيما يكتب وينقل، وهو يعلم أنّ كلّ حرفٍ يتفوّه به قلمه مسؤولٌ عنه أمام محكمة العدل الإلهيّة أوّلاً، وأمام الأجيال المتعاقبة التي لا شكّ ولا رَيب أنّها لم ولن ترحم مَن تلاعب في تاريخ أُمّتها وزوّر الحقائق.

فمَن خَبَرَ تاريخنا جيّداً وتفحّصه بعين البصيرة، يظهر له جليّاً معالم كتابته وحيثياتها عبر القرون الماضية، ويدرك حينها كيف كُتب التاريخ؟! وكيف هيمنت الأهواء النفسيّة على نقل الكثير مِن وقائع الأيام والشهور والسنين وتدوينها؟! وكيف اتّخذت السلطات الحاكمة في كلّ حين التدابير والاحتياطات اللّازمة كي لا تخرج تلك المدوّنات عن دائرة المدح والثناء للسلطان أو الحاكم أو الخليفة آنذاك، وكلّ مَن والاهم وشايعهم، والقدحِ والذمِّ لمَن خالفهم أو ثار على نهجهم. ناهيك عن الحقد المدفون في صدور بعضهم، ممّا حَدَا بهم إلى تلفيقِ أحداثٍ بعينها أو تأويل بعضها بما يتلاءم مع

مصالحهم، وهذا ما نراه أبلجَ غير لَجَلَجٍ في عصرنا هذا.

كلّ هذه الأُمور وغيرها استحثّت العديد من الباحثين على دراسة التاريخ دراسةً مستفيضةً متجرّدةً مِن النزعات الشخصية أو المذهبية أو القومية؛ لاستكشاف الحقائق في كلّ حقبةٍ وإظهارها من بين ركام التزوير والتلفيق. ومنها تلك الحقبة المهمّة التي شابتها طائفةٌ من الغموض – في عين المُنصف - وكثُر عليها الكلام، واستحوذت على أقلام الباحثين ومِداد المؤرّخين، ألا وهي (الحقبة المغوليّة) وما صاحبها من حوادثَ مهمّةٍ غيّرت مسار التاريخ للكثير من الأُمم والشعوب، منها بل تكاد أهمّها سقوط الدولة العبّاسية بيد المغول، وما ساقه بعضهم من توجيهِ سهام الاتّهام إلى جهةٍ معينةٍ بذاتها، في محاولةٍ للنيلِ منها وإشباع الرغبات الأنويّة متّكلين في ذلك على مَن هم خارج دائرة الحدث، والتبرير للأفعال الشنيعة التي مارستها جهاتٌ أُخرى نقلتها لنا يراعات مَن عاصر الحدث وعايشه.

ولذلك تطلّب الأمر وقفةً جديةً من رجالٍ نذروا أعمارهم المباركة في تقصّي الحقائق، وقراءة التاريخ بتفحّص وتمعّن، والبحث عن المصادر القديمة التي تروي الأحداث بموضوعية ومنطقية عالية لِأولئك المعاصرين، والتوثّق من نقولاتهم ومروياتهم بغية الكشف عن الحقائق الناصعة التي تُبيّن كذب وادّعاء من أخفى الحقّ وألبس الباطل بغير أهله.

ومن هؤلاء الرجال الذين شمّروا عن سواعد الجدّ والاجتهاد في تحقيق هذا الهدف هو الأُستاذ العزيز يوسف الهادي دامت توفيقاته الذي لم يألُ جهداً في تتبّع المصادر القديمة المطبوعة والمخطوطة والمرقومة بلغات مختلفة، والاعتماد على مصادرَ عاصر مؤلّفوها الأحداث التي يتناولها في أعماله، ممّا يجعل المعلومة المعتمدة أقرب إلى الواقع

وأكثر موثوقية من غيرها، وهذا ما تجده واضحاً جليّاً في تحقيقات الرجل ومؤلّفاته، فللّه درّه وعليه أجره.

ومن المصادر المهمّة التي أتحفنا بها هذه المرّة هو كتاب (ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان) لمؤلّفه العلّامة أبي الثناء قطب الدّين محمود بن مسعود بن المصلح الشيرازيّ الشافعيّ (٦٣٤هـ - ٧١٠ هـ)، وهو عالم موسوعيّ من تلامذة الخواجة نصير الدين الطوسيّ ﵀ يسلّط الضوء على حقبة من الحِقب التاريخية للدولة المغولية، ففيه أخبار العائلة المالكة والأُمراء وما فعلوه في غزوهم للبلاد الإسلامية من أعمال، إذ يصوّر لنا بعض التفاصيل الدقيقة - التي ربّما تكون نادرة - حول الغزو المغوليّ لبغداد وسقوطها على يد هولاكو وبعض الأحداث التي زامنت الغزو، ثمّ نهاية هولاكو والصراع على السلطة من بعده في الدولة المغولية، ويعرض لنا الكتاب أيضاً صورة لواقع حكم المغوليين وسياستهم المتّبعة وبعض قوانينهم، فضلاً عن سلوكياتهم أو لِنقُل أدبياتهم في إدارة الدولة وفي الحروب.

وتأتي أهميّة هذا الكتاب كون مؤلّفه قد عاصر أهم الوقائع التي رافقت الغزو المغولي لعالمنا الإسلامي في أشد عنفوانه، عصر هولاكو الذي شهد اجتياح القلاع الإسماعيلية في إيران، وغزو العراق الذي انتهى بإسقاط الدولة العبّاسية، وكذلك يحوي الكتاب فوائد جغرافية لا توجد في غيره من المصادر.

الكتاب أُلِّف باللغة الفارسية وقد قام الأُستاذ المحقّق يوسف الهادي بترجمة نصوصه وتحقيقها تحقيقاً علمياً، والتعليق عليها بتعليقات ذات فوائد جمّة، كما قدّم للكتاب بدراسة تاريخية لطيفة عرّج فيها على شذرات من حياة المؤلّف وأهميّة الكتاب وموقعه من بعض الكتب المؤلّفة عن تلك الحقبة والقريبة منه معتمداً في كلّ ذلك على

مصادر تاريخية مهمّة، منها ما هو مخطوط ونسخه فريدة، ومنها ما هو مطبوع وطبعاته نادرة. كما أضاف ملحقاً في آخر الكتاب ببعض المصطلحات المغوليّة المذكورة في المتن وبيان معانيها.

وفي الختام، فإنّنا في الوقت الذي نشكر فيه الأُستاذ الهادي على ما قدّمه لنا وللمكتبة الإسلامية من مصدرٍ مُهمٍ يحكي تلك الحقبة من تاريخنا، فإنّنا نسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّقنا للإسهام في نشر ما من شأنه أن يصحّح ما مُلئ به التاريخ من متناقضات ومغالطات، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.

مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

٨ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧/٣/٧م

مقدمة المحقِّق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مؤلِّف هذا الكتاب هو أبو الثناء قُطْب الدِّين محمود بن مسعود بن المصلح الشِّيرازيّ الشَّافِعِيّ، المولود في كازرون أو شيراز[1] في صفر سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م، والمتوفّى في تبريز - بعد أن مرض مدة شهرين[2]، عانى فيها مرض ذات الجَنْب[3] - يوم الأحد ١٧ رمضان سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م[4].

دُفن بوصيَّةٍ منه[5] إلى جانب قبر المفسِّر والمؤرِّخ والقاضي البيضاويّ الشَّافِعِيّ[6]،

---

(١) انظر: الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٢.

(٢) انظر: الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٣) انظر: أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ١١٨؛ فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٣/ ١٨.

(٤) استندنا إلى أبي القاسم القاشانيّ (تاريخ أولجايتو، ١١٨)؛ حَمْد الله المُسْتَوفي (تاريخ گزيده، ٧٠١)؛ (انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٧)، الَّذي جعل اليوم هو ١٦ رمضان. والصحيح ما أورده القاشانيّ الَّذي نقل تأريخاً شعرياً يؤرِّخ وفاته، وكذلك حَمْدُ الله المُسْتَوفي (انظر أيضاً: الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥).

(٥) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٩٢.

(٦) انظر: فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٣/ ١٨؛ حَمْدُ الله المُسْتَوفي، تاريخ گزيده، ٧٠١. البيضاوي: العالم والمفسِّر والمؤرِّخ الشهير عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشِّيرازيّ المتوفّى بعد سنة ٦٩٤هـ (عن دفنه في جَرَنْدَاب، انظر: زركوب الشِّيرازيّ، شيراز نامه، ١٨٢).

في مقبرة جَرَنْداب[١] بتبريز، وأُدِّيَتْ عنه ديونُه[٢].

خَصَّص معاصره المؤرِّخ والأديب أبو القاسم القاشانيّ المتوفّى سنة ٧٣٨هـ صفحتين للكلام على شخصيته وفضائله ومناقبه، ومن ذلك إشارته إلى روح المرح لديه: «كان ذا طبع مفعم بالمرح، وقلب يبعث على الفرح، وحديث ينعش الروح، وذهنٍ وقَّاد، بحيث أنَّ التشرف بقضاء لحظة واحدة معه، تبدِّل الهمَّ والغمَّ بالبهجة والحبور مدةَ عامٍ كامل»، وأضاف: إنَّ الناس يوم موته كانوا «يُعَزُّون بعضهم بعضاً بموت العلوم»[٣].

إنّ المراسيم التي أحاطت به يوم وفاته دالَّة على احترام الناس الفائق له، حيث ذُكِر أنّه «لمّا مات وليَ أمرَ جنازته زين الدين عَليّ بن عبد السلام، كبيرُ التُّجار بتبريز، وأنفق على الجنازة والتربة اثني عشر ألف درهم، وغُلِّق البلد بسبب الجنازة»[٤].

اتخذ مؤبِّنوه من عربٍ وفُرس لقبه «قُطْب الدِّين» محوراً صاغوا عليه أشعارهم، فقال زين الدين ابن الورديّ[٥]:

لقد عُدِمَ الإسلامُ حَبْراً مُبَرَّزاً ... كريمَ السَّجايا فيهِ مَعْ بُعدِهِ قُرْبُ

عجبتُ وقد دارتْ رَحى العلم بعدَهُ ... وهلْ للرَّحى دَوْرٌ وقد عُدِمَ القُطْبُ؟

---

(١) يذكر ابنُ الفُوَطِيّ (تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٤٧٠)، أنّ جَرَنْدَاب هي جزء من تبريز.

(٢) انظر: الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١.

(٣) أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ١١٨ - ١٢٠.

(٤) البِرْزَاليّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.

(٥) ابن حبيب، درة الأسلاك، حوادث سنة ٧١٠هـ.

ورثاه أحد الشعراء الفُرس وبالغَ كثيراً فقال ما تَرْجَمَتُه:

لهذه الفاجعةِ سيصبحُ ماءُ العينِ دماً وسوفَ ينهارُ فَلَكُ هذا الزَّمَان

إنَّ الفَلَكَ يدورُ حولَ قُطبهِ وحينَ عُدم القطبُ، كيفَ سيدورُ الفلك؟

دأب مترجموه على أن يقرنوا اسمه بألقاب الفخامة مثل «مولانا» الَّذي سمّاه به ابنُ الفُوَطِيّ، وسمّاه أيضاً «شيخنا طبيب الدين»[١]، وسمَّى منزله الَّذي في چرنداب من مدينة تبريز بـ «الحَضرة» أو «الزاوية» التي التقى فيها جمعاً من العلماء والحكماء وكبار الشخصيات ليقول: «رأيته في حضرة مولانا وشيخنا قُطْب الدِّين أبي الثناء...، وذلك بچرنداب تبريز في زاوية مولانا قُطْب الدِّين»، أو «رأيته في حضرة شيخنا قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ»[٢]، عندما زاره في ربيع الأول سنة ٧٠٦هـ[٣]؛ كما قيل عنه: «العلَّامة الفيلسوف ذو الفنون»[٤]. ونجد وصَّافَ الحَضْرَة ـ وهو الكاتب البليغ ـ قد بلغ الغاية القصوى في كيل ألقاب الثناء عليه ببضعة سطور ختَمَها بقوله: «أستاذ المحقِّقين، كهف الواصلين، قطب الملَّة والدِّين؛ لا زال قطباً ثابتاً لساكني الفَرْش، بل لِحَمَلَةِ العَرْش»[٥].

كما كانوا يشيرون إليه بـ «مولانا الأعظم قطب الملة والدِّين»[٦]، و«أقضى

---

(١) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٥/ ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٤٧٠، ٤/ ١٣٨، ١٤٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٤/ ١٣٨، ٤٩٨.

(٤) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٣؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤٠٩.

(٥) وصَّاف الحَضْرَة، تاريخ وصَّاف الحَضْرَة، ٤/ ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٦) انظر مثلاً: حَمْد الله المُسْتَوفي، تاريخ گزيده، ٦٠٥؛ وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٧١؛ فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٣/ ١٨.

القضاة»[١]، وكونه قاضياً يستلزم أن يكون فقيهاً، حيث نعلم أنّه درس الفقه على علاء الدين الطاووسيّ القَزْوينيّ (ت ٦٧٢هـ)، الَّذي كان «أستاذ علماء عصره»[٢].

إنّ كلام ابن الفُوَطيّ على «زاوية» قُطْب الدِّين دالٌّ على الاتجاه الصوفي لديه الَّذي قيل فيه: إنّه «لم يغيِّر زيَّ الصوفية»[٣]، ويدل عليه أيضاً ذلك العمق الَّذي امتاز به شرحه لكتاب *حكمة الإشراق* للسهروردي أحد عمالقة التصوُّف.

ترجَمَه المؤرِّخ والأديب ابنُ الفُوَطِيّ (٦٤٢ - ٧٢٣هـ)، الَّذي كان على صلة شخصية به، فقال:« قُطْب الدِّين أبو الثناء محمود بن مسعود بن المصلح الشِّيرازيّ، كازرونيُّ الأصل، الحكيم المهندس قاضي القضاة بالروم نزيل تبريز. الحكيم الَّذي لو شرعتُ في شرح أوصافه لاحتجتُ فيه إلى مجلَّدة بذاتها؛ صاحب الأخلاق النبوية، والعلوم الإلهية؛ والنفس الشريفة، والهمة المنيفة؛ والسخاء والكرم.

قَدِمَ مراغةَ إلى حضرة مولانا وسيِّدنا نصير الدين [الطُّوسيّ] سنة ثمان وخمسين وست مئة، واشتغل عليه في العلوم الرياضية؛ وعلى نجم الدين الكاتِبيّ القَزْوينيّ ما صنَّفه من الكتب المنطقية؛ وعلى مؤيد الدين العرضيّ ما صنَّفه في علم الهيئة والأشكال الهندسيَّة. وكتبَ بخطه الدقيق اللطيف جميع ما اشتغل به وحصَّله وأدأب نفسه ليلاً ونهاراً. ووليَ القضاءَ بالرُّوم وأقام بسيواس مدةً، ثُمَّ قدمَ أذربيجان واستوطن تبريز واشتغل بالتصنيف والتحقيق وصار مجلسه محلَّ الحكماء والأفاضل.

---

(١) انظر مثلاً: وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٧١.

(٢) حَمْدُ الله المُسْتَوفي، تاريخ گزيده، ٨٠٧.

(٣) ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١.

وكان دمثَ الأخلاق، ظريف المحاورة في المحاضرة. وكان مقرَّباً عند السلاطين والوزراء»[١]. وصفه البِرْزَاليّ بقوله: «كان مقصداً قاضياً لحوائج الناس، وله الجاه العريض والمال الوافر»[٢]. وقال فيه الذَّهَبيّ: «كان من بحور العلم ومن ذوي الذكاء، وكان أجود فنونه معرفة الرياضي، رأيتُ تلاميذه يتغالون في تعظيمه»[٣].

ونعتقد أنَّ أهم أساتذته كان العالم الموسوعي الفذ نصير الدين الطُّوسيّ، حيث سافر إليه قُطْب الدِّين «ولازَمَه، فبَحَثَ عليه شرحه للإشارات والرياضيّ وعلم الهيئة وبَرَعَ»[٤].

ذُكر أنّه اجتمع بهولاكو وأبغا[٥]، وأنّ أبغا قال له: «أنت أفضل تلامذة النصير، وقد كبر، فاجتهِدْ حتى لا يفوتك شيء من علمه. قال [قُطْب الدِّين]: قد فعلتُ، وما بقيَ لي حاجة»[٦].

سافر إلى بلاد الروم فأكرمه حاكمها البرواناه[٧]، وعيَّنه قاضياً في سيواس وملطية، ونقل أسرته معه إلى تلك البلاد[٨].

---

(١) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٤٤٠ - ٤٤١.

(٢) البِرْزَاليّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.

(٣) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٣؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٤) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٢.

(٥) اسمه يُكتب أيضاً بصورة، أبقا، آباقا، وهو ابن هُولاكُو، حكمَ خلال السنوات ٦٦٣ - ٦٨٠هـ.

(٦) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١٠؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٧) هكذا يُكتب في المصادر العَرَبِيَّة، أمَّا في الفارسية فيكتب بصورة: پروانة.

(٨) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٠.

وكان من ثمار إقامته في بلاد الروم، مجموعته الخطيَّة التي كتبها بيده في مدينة قونية في ربيع الآخر سنة ٦٨٥هـ، التي ننشر منها كتابنا هذا. وكانت علاقاته بشخصيات من بلاد الروم واسعة بحيث نجد مجدَ الدين أبا الحارث محفوظَ نجلَ حاكم بلاد الروم الشهير پروانة ضيفاً بمنزله في تبريز سنة ٧٠٦هـ[١].

يقول ابن الفُوَطِيّ: إنّه «غادر آذربايجان وسكنَ مدة في المدرسة التي أنشأها الصاحب شمس الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الجُوَيْنيّ بجوين[٢] وفوَّضَ أمر تدريسها إلى مولانا نجم الدين الكاتِبيّ القَزْوينيّ؛ وكان مولانا قُطْب الدِّين معيدَ درسه»[٣].

أهم تحركاته السياسية قيام السلطان المَغُوليّ أحمد تكودار بمشورة شمس الدين الجُوَيْنيّ صاحب الديوان والشيخ عبد الرحمن الرافعيّ[٤]، بإرساله سنة ٦٨١هـ إلى دمشق حاملاً رسالة سلام ومهادنة إلى سلطان مصر والشام المنصور قلاوون الألفيّ[٥].

---

(١) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٤٩٨.

(٢) جُوَين: «كورة جليلة نَزِهَة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، يسميها أهل خراسان كويان، فعرِّبت فقيل: جوين...، وقصبتها آزاذوار» (معجم البلدان، ٢/ ١٦٤ -١٦٥).

(٣) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٢.

(٤) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٨٨؛ آيتي، تحرير تجزية الأمصار، ٦٩: كمال الدين عبد الرحمن الرافعي البَغْدَادِيّ (انظر أيضاً: كتاب الحوادث،١٦٩ - ٤٦٧)؛ سمَّاه ابن الفُوَطِيّ «شيخ السلطان أحمد بن هُولاكُو»، وقال: «كان من الفرَّاشين المقرَّبين إلى حضرة المستعصم بالله» (تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٣٩٥، ٤/ ١٧٧، ١٧٨؛ مجهول، كتاب الحوادث، ٤٦٧).

(٥) البَنَاكَتيّ، روضة أولي الألباب، ١٢٩ ب: أرسله في ١٩ جمادى الأولى؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١٠؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

حين وصل الوفد إلى مدينة إلبيرة «سُيِّرَ إلى مصر ولم يدخل الشام، وأُدخل إلى الألفي ليلاً، فوقف بين يديه وأدى الرسالة، فقال الترجمان له: نحن نجيب إلى ذلك، وأمر في الحال بإنشاء الكُتب إلى سائر البلاد ليتمكن التجار من السفر. ثُمَّ أذِن لقُطْب الدِّين في العَود وأمرَ له بمال وأُعيد إلى إلبيرة»[١]. وبإزاء ذلك ردَّ قلاوون برسالة جوابية يُعزز فيها نوايا السلام التي بدأها السلطان أحمد. أدَّت هاتان الرسالتان اللتان ترددت أصداؤهما الطيبة في المنطقة طويلاً[٢]، إلى نشر حالة من الأمان في المنطقة، حيث «فُتحت الطرق، وأخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل، والعَجم إلى سورية، ومن سورية ومصر إلى بلاد التتر دون أدنى أذىً»[٣].

---

(١) مجهول، كتاب الحوادث، ٤٦٢.

(٢) الرسالة بتمامها مع رسالة قلاوون الألفي الجوابية لدى بَيْبَرْس المنصوريّ الدوادار في (زبدة الفكرة، ٢١٩ – ٢٢٦)؛ ابن الفُوَطِيّ(تلخيص مجمع الآداب،٥/ ٦٣)، الَّذي ذكر أنّ الرسول الَّذي كان معه هو عبد الباقي بن أبي بكر السنجاريّ (٥/ ٦٣)، لكنّه ذكر في موضع آخر (٥/ ٥٤٣)، أنّه كان بهاء الدين جاولي؛ ابن العِبْرِيّ (تاريخ الزَّمَان، ٣٤٤) الَّذي ذكر اسمين آخرين لمرافقي قُطْب الدِّين (تاريخ مختصر الدول، ٥٠٦ – ٥١٨)، حيث ذكر الرسالة بتمامها مع جواب قلاوون؛ ابن المغيزل (ذيل مفرج الكروب، ١٢٧ ـ ١٣٦)؛ الآقْسَرَائيّ (مسامرة الأخبار، ١٣٦)، الَّذي ذكر أنّ مَن كان معه هو بهاء الدين الرُّودكرديّ؛ مجهول (كتاب الحوادث، ٤٦٢)؛ ذكر مؤلِّف كتاب الحوادث أنّ السلطان أحمد أرسل في السنة التالية (٦٨٢هـ) الشيخ عبد الرحمن إلى الشام لتوكيد ما كان كتبه في الرسالة المذكورة، لكن هذا الشيخ «لَّما وصل إلى دمشق حُبِسَ بها، وكان آخر العهد به، ونُوديَ في الشام أنْ لا يذكره أحد» (ص ٤٦٧)؛ ويقول رشيد الدِّين عقب ذلك: أنّ السلطان أرسله بتلك الرسالة إلى مصر، لكنّه حين وصل دمشق أُلقي عليه القبض وحُكم بالسجن المؤبد، فمكث في سجنه حتى وفاته (جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٠؛ انظر أيضاً: البَنَاكَتيّ، روضة أولي الألباب، الورقة ١٢٩ ب).

(٣) ابن العِبْرِيّ، تاريخ الزَّمَان، ٣٤٤ – ٣٤٥.

نجد في سيرته أنّه حين ذهب إلى بلاد الروم أكرمه حاكمها البرواناه، وولّاه قضاء مدينتي سيواس وملطية[١]. لكن ابن الفُوَطِيّ يقول: إنَّ الصاحب شمس الدين الجُوَيْنيّ هو الَّذي فوَّضَ إليه قضاء ممالك بلاد الروم، فتوجه إليها وأقام بسيواس[٢]، وقيل أيضاً: إنّه «وُلِّيَ قضاء الروم ولم يباشره، وكان له نواب في بلاده»[٣].

حضر مرة إلى بلاط السلطان المَغُوليّ أَرْغُون خان بن آباقا بن هُولاكُو في شعبان سنة ٦٨٩هـ، «وعرضَ عليه صورة بحر المغرب وخلجانه وسواحله التي تشتمل على كثير من الولايات الغربية والشمالية؛ وقد سُرَّ السلطان كثيراً بتجاذب أطراف الحديث معه وهو يفصِّل الحديث عن ولايات الروم. وخلال ذلك وقع نظر السلطان على موضع مدينة عمُّورية التي هي من بلاد الرُّوم الداخلة، فطلب إلى مولانا أن يصفها له، فتقدَّم بوصف تلك المدينة بعد أن مهَّد لكلامه بعبارات راقية اشتملت على الدعاء والثناء للملك الَّذي كان وقع ذلك في نفسه عظيماً، ثُمَّ توجه نحو الصيد، وخاطب مولانا [قُطْب الدِّين]: حين أعودُ، فتعالَ إليَّ لنتجاذب أطراف الحديث، فكلامك في غاية العذوبة. [ويتابع رشيد الدِّين فيقول:] لكن حدث حينها أن جيءَ بثلاثة من الشخصيات المعروفة قُبِض عليهم في بلاد الروم، فقرّر الملك إنزال عقوبة الإعدام بهم، فلمّا سمع قُطْب الدِّين، هُرِع خلف الملك وتمكَّن من إنقاذ واحد منهم من الموت»[٤].

---

(١) انظر: الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٢؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١٠؛ التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٠؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٢) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٢.

(٣) البِرْزَاليّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.

(٤) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٢.

ماديَّاً، لم يكن محتاجاً لأحد، كان مترَفاً في حياته وكان دخله السنويّ ممَّا قرَّره له «ملوك التتار والأمراء وغيرهم يقارب الثمانين ألف درهم»[(١)]. وقيل «كان حليماً سمحاً لا يدَّخر شيئاً، بل ينفق ما معه على تلامذته ويسعى لهم، وصار له في العام ثلاثون ألف درهم، وقصده صفي الدين عبد المؤمن [الأُرْمَوِيّ] المطرِب فوصله بألفي درهم»[(٢)].

ويبدو أنَّ هذه الحال لم تدم طويلاً، إذْ نجده يقول في مقدمة كتابه *شرح حكمة الإشراق*، الَّذي انتهى منه في شهر رجب سنة ٦٩٤هـ: إنّه أراد منذ زمن أن يؤلّفه لكن أعاقه «اعتراضٌ في أحوال الزَّمَان، من اختلال الأمن والأمان...» ، فقرَّر اعتزالَ الناس حيث قال: «حتى ضربتُ عن أبناء الزَّمَان صفحاً، وطويتُ عنهم كشحاً»، بل صرَّح أيضاً بضيق ذات يده مما ألجأه إلى العُزلة فقال: «أَلجأَني الإقلالُ بعد الإكثار، والإعسارُ بعد اليسار، وخلوُّ الديار عمَّن يعرف قدر الفضيلة وينعش عِثار الأحرار، إلى أن استترتُ بالخمول والانكسار، وانزويتُ في بعض نواحي هذه الديار؛ متوفِّراً على فرض أؤدِّيه، وتفريط في جنب الله أسعى إلى تلافيه، لا على درسٍ أُلقيه، أو تأليفٍ أتصرَّف فيه».

وينبِّه على أنَّ «شرح المشكلات، وتقرير المعضلات، واستخراج العلوم والصناعات، وثبت ما يتحقق من المباحثات؛ إنّما يحتاج إلى مزيدِ تجريدٍ للعقل، وتمييزٍ من الذهن، وتصفيةٍ للفكر، وتدقيقٍ للنظر، وانقطاعٍ عن الشوائب الحِسِّية، وانفصال عن الوساوس العاديَّة.

---

(١) البِرْزَاليّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.

(٢) الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠. والأُرموي هو الموسيقار عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر، وكان «من الفقهاء الشوافع في المستنصرية، ومن كبار الخطَّاطين والمغنِّين في خلافة المستنصر والمستعصم» (معروف ناجي، تأريخ علماء المستنصرية، ١/ ٩٤).

وكلُّ ذلك منوط بالأمن والأمان، الَّذي هو مربوط بعدل السلطان؛ إذ العدلُ أصلُ كلِّ خير، ومَدْفَعُ كلِّ آفةٍ وضَيْر؛ به تدوم عناصرُ العالم على صفة الاعتدال، وتقوم السَّنَة باستواء فصولها مصونةً عن الاختلال. ولَّما ضاعت السِّيَرُ العادلة، وشاعت الآراءُ الباطلة؛ واندرس الدينُ ومنارُه، وانطمس الحقُّ وآثارُه...»[١].

ثم يتحدث عن ظهور الأمل الَّذي سيحدوه على أن ينشط للتأليف ليكتب شرحاً على كتاب حكمة *الإشراق* لشهاب الدين السهروردي[٢]. وتمثَّلَ هذا الأمل بظهور الوزير جمال الدين عَليّ بن مُحَمَّد بن منصور الدستجرداني، وهو شخصية سياسية اجتماعية علمية ذات ثقافة عالية، وكان كريماً[٣].

---

(١) قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، شرح حكمة الإشراق، ٥ - ٦.

(٢) هو يحيى بن حبش بن أميرك(٥٤٩ - ٥٨٧هـ)، الفيلسوف والصوفي الشهير الَّذي عاش في بلاد الشام، وقد كفَّره جمع من علماء تلك البلاد، وأُعدِمَ بأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي. ترجمه الذَّهَبيّ فقال: «كان يتوقَّد ذكاء، إلّا أنّه قليل الدِّين» (سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢٧٢)، وقال: «قَدِم الشامَ فناظر فُقهاء حلب، ولم يُجاره أحدٌ، فاستحضره الملك الظاهر [حاكمُ حلب ونجلُ صلاح الدين الأيوبي]، وعقد له مجلساً، فبان فضله، وبهر علمه، وحسن موقعه عند السّلطان، وقرَّبه، واختص به، فشنَّعوا عليه، وعملوا محاضر بكفره، وزادوا عليه أشياء كثيرة، [وبعثوها إلى السلطان (صلاح الدين)، وخوفوه أن يفسد اعتقاد ولده]، فبعث إلى ولده الملك الظاهر بخط القاضي الفاضل يقول فيه: لا بدَّ من قتله، ولا سبيل إلى أن يُطلق ولا يُبقَى بوجه» (تاريخ الإسلام، ٤١/ ٢٨٤، سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢٠٨). وقال الذَّهَبيّ في (سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢١٠ - ٢١١): «قَالَ ابْنُ خَلكانَ: وَكَانَ يُتَّهَم بالانحِلَال وَالتعطيل، وَيَعتقد مَذْهَبَ الأَوَائل، اشْتُهر ذَلِكَ عَنْهُ، وَأَفتَى علماءُ حلب بقتله، وأشدُّهم الزَّينُ وَالمجدُ ابْنَا جَهْبَل»؛ ثُمَّ علَّقَ (أي الذَّهَبيّ) على إفتائهم بقتله قائلاً: «قُلْتُ: أَحْسَنُوا وَأَصَابُوا».

(٣) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ١/ ٢٥٩، ٢/ ٤٥، ٣/ ٢٣٥، ٥/ ٢٣٧، ٤٢٥.

عُرِف الدستجرداني هذا بعشق الكتاب والتنقيب عنه وفيه[١]. وفيما نقله عنه ابن الطقطقى ما يدلّ على رجاحة عقله[٢]. عاش في بغداد وشغل منصب حاكم بغداد مرةً وأخرى منصب والي العراق للمغول منذ سنة ٦٨٩هـ[٣]، وعُيِّن وزيراً سنة ٦٩٥هـ، لكن وزارته لم تَدُمْ سوى خمسين يوماً قُتِلَ بعدها في السنة نفسها[٤].

ذُكِر أنَّ قُطْب الدِّين «كان يتقن الشعبذة، ويضرب بالرَّباب ويورد من الهزليات ألواناً بحضور خَرْبَندا[٥]، وفي دروسه، وكانت أخلاقه جميلة ومحاسنه وافرة»[٦]، ورأينا كيف أُعجب السلطان المَغُوليّ أَرْغُون بحديثه حين التقاه[٧].

---

(١) انظر: ابن الطقطقى، الأصيلي، ٣١، عن تنقيبه في خزانة مكتبة ساوة؛ وحصوله على إجازة برواية كتاب الذرية الطاهرة للدولابي من أحد رواته وهو أحمد بن ابراهيم بن عمر الفاروثي المتوفّى سنة ٦٩٤هـ (الطباطبائي، أهل البيت في المكتبة العَرَبِيَّة، ١٨٤).

(٢) انظر: ابن الطقطقى، الفخري، ٣٧.

(٣) انظر: فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٢/ ٣٦٢؛ مجهول، كتاب الحوادث، ٥٠٦، ٥١٧، ٥٢١، ٥٣١.

(٤) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٩٢٥ - ٩٢٦. حيث ذكر أنّه عُيِّن في ٨ من ذي القعدة، وقُتل في ٢٨ من ذي الحجة من سنة ٦٩٥هـ؛ وعلينا الركون إلى رشيد الدِّين لكونه أقرب الناس إلى محمود غازان، ونهمل ما ذكره حَمْدُ الله المُسْتَوفي (تاريخ گزيده، ٦٠٣) من أنّ الدستجرداني قُتِل بعد شهرين من توليه الوزارة؛ ونهمل أيضاً ما ذكره مؤلِّف كتاب الحوادث (ص ٥٣١) من أنّ مدة ولايته كانت ٤٠ يوماً، وأنّه قُتل سنة ٦٩٦هـ؛ وكذلك ما ذكره فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ، ٢/ ٣٦٢، ٣٧٧)، من أنّه استُوزر سنة ٦٩٥هـ، وقُتل سنة ٦٩٧هـ.

(٥) هو السلطان المَغُوليّ مُحَمَّد خُدَابَنده أولجايتو.

(٦) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٧) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٢.

كما ذُكر أنّه «كان ظريفاً مزّاحاً لا يحمل هماً، وهو بزيِّ الصوفية، وكان يجيد اللعبَ بالشطرنج ويلعبُ به والخطيبُ على المنبر وقتَ اعتكافه»[١].

ويمكن أن تكون هذه الروح المرحة هي التي حدت بعض الناس على اتهامه بكونه «متهاوناً في الدِّين محبّاً للخمر ويجلس في حَلَق المساخر»[٢]؛ وهو أمر لا يمكن الركون إليه خلال تلك الأجواء المشحونة بالتنافس والنميمة والتسقيط الاجتماعيّ، ذلك أنَّ الرجل عُرِف عنه أنّه «كان يحبُّ الصلاة في الجماعة ويخضع للفقير، ويوصي بحفظ القرآن، وإذا مُدح يخشع»[٣]، ولقد أحسن الذَّهَبيّ حين قال: «واللهُ أعلم بطويته، فظاهرُهُ ما قلنا، وباطنه أجود، وله محاسن ومروءة وأخلاق، والله تعالى يسمح له ولنا»[٤].

ويبدو أنَّ قُطْب الدِّين حين قال: إنّه اعتزل الناس؛ قد بالغ في التواضع، ذلك أنَّ السُّبْكيّ يقول: إنّه «استوطن بالآخرة تبريز وانقطع عن أبواب الأمراء إلى أن مات»[٥]، لكنّه نفع الناس بهذا الانقطاع «وفي الآخر لازمَ الإفادة، فدرّس *الكشّاف والقانون والشِّفاء* وعلوم الأوائل»[٦].

---

(١) الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ ابن حجر العسقلانيّ، ٤/ ٣٤٠.

(٢) الإسنوي، طبقات الشَّافِعِيَّة، ٢/ ٣٢؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشَّافِعِيَّة، ٢/ ٣١١.

(٣) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١. يخشع: يتواضع.

(٤) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥.

(٥) السُّبْكيّ، طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى، ١٠/ ٣٨٦؛ حاجي خليفة، سلّم الوصول إلى طبقات الفحول، ٣/ ٣١٩.

(٦) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١. والكشّاف هو تفسير القرآن الكريم الشهير للزمخشري، والقانون هو الكتاب الطبي المعروف لابن سينا، والشفاء أيضاً لابن سينا، وهو في المنطق والإلهيات والطبيعيات.

وينبغي أن يكون انهماكه بالتدريس بعد سنة ٧٠٦هـ، ذلك أنّه كان قد ورد تبريز في هذه السنة[١]، والتقاه فيها ابن الفُوَطِيّ في زاويته بمدينة تبريز، مما ذكرناه آنفاً.

ويذكر ابن الفُوَطِيّ أيضاً أنَّ قُطْب الدِّين قد لازم الجامع في أخريات سِنِي حياته «ولَمَّا لازم الجامع في الأخير قرأ للناس *جامع الأصول* في رمضان، وطالَعَ *الإحياء* لأبي حامد»[٢].

ولدى ابن حجر خبر يقول فيه إنّه «درَّسَ بدمشق *الكشّاف* و*القانون* و*الشفاء* وغيرها»[٣]، لكنّه لم يذكر متى حدث ذلك.

بين قُطْب الدِّين ورشيد الدِّين

كان للوزير والطبيب والمؤرِّخ رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ به علاقة طيبة جداً حتى إنّه حين كان في رحلة إلى بلاد المولتان حرص على مراسلته وأطال في الكتابة إليه وأبدى له شوقاً واحتراماً زائدين فقال: «تصل رسالتي إلى ذلك الشفيق الرفيق، والرفيق الشفيق، الحامل من العلوم كل ما هو دقيق...

والله لـــولا أنَّ ذِكْـــرَكَ مؤنـــسي ... مـا كـان قلبـي بـالفراقِ يطيـبُ[٤]

---

(١) ذكر ذلك قُطْب الدِّين نفسه في كتابه فعلتَ فلا تَلُمْ (انظر: آغا بُزُرْك، ذيل كشف الظنون، ٧٢).

(٢) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٤. وجامع الأصول لأحاديث الرسول، هو من تأليف المبارك بن مُحَمَّد بن عبد الكريم ابن الأثير الشيباني الشَّافِعِيّ (٥٤٤ - ٦٠٦هـ)، أمّا الإحياء فهو كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

(٣) ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٤) البيت من قصيدة لمحمّد بن إبراهيم بن ثابت المعروف بابن الكيزاني المتوفّى سنة ٥٦٠هـ (الصَّفَديّ، الوافي بالوفيات، ١/ ٢٥٦).

يتلظَّـــى بشـــواظ مِـــن لَظـــىً كـــلُّ مَـــن يُحـــرَمُ يومـــاً رؤيتَـــكْ[١]

ويعلم الله الحق العليم والعلَّام مدى ما أعاني من غَلَبَات نَسَمَات فيض الاشتياق، وغليان الهجران والأشواق، والعاصف واللاعج، مما لا يَصل بحقه شرحُ الأقلام، وبسط كلام، إلى حَيِّزِ الإتمام:

الـــشرحُ لا آخـــذُ في شرحِـــهِ لأنَّـــه أكثـــرُ مِـــن أن يُقـــالْ»[٢]

بلغ من احترام الوزير رشيد الدِّين له أنّه كان يدعوه «مولانا المعظّم، ملك ملوك الحكماء والأفاضل، أقضى القضاة والحكام في العالم، مقتدَى العالَم ودستورُه وفريدُه، قطب المِلَّة والدين دامت معاليه»[٣]؛ ودعاه أيضاً «أفضل علماء العالَم»[٤]. وحين أرسل رشيد الدِّين مرة إلى نجلِه عَليّ حاكمِ بغداد مبالغ ضخمة وهدايا عينية وطلب إليه أن يوزعها على جمع من علماء العراق وغيره بلغ عددهم واحداً وخمسين من مشاهير أهل العلم والفضل من علماء وفقهاء وأطباء ومتصوفة ومتفلسفين، كان اسم قُطْب الدِّين أولَ اسمٍ في القائمة، وخصَّه بمبلغ ٢٠٠٠ دينار، وهو مبلغ ضخم جداً آنذاك[٥].

---

(١) ورد هذا البيت في الأصل بالفارسية، فترجمناه شِعراً. و«رؤيتك» وردت في الأصل الفارسي «خدمتك»، وهي تعني هنا الحضور بين يدي الشخص المقصود ذي المنزلة الأرفع.

(٢) رشيد الدِّين، سوانح الأفكار رشيدي، ١٤٦ – ١٤٧.

(٣) رشيد الدِّين، بيان الحقائق (الطبعة الفارسية)، ١٠٩ – ١١٠؛ انظر مديحاً آخر لرشيد الدِّين بحقه مبالغاً فيه أيضاً في (لطائف الحقائق، ٢/ ٤٧١). الدَّسْتُور كلمة فارسية مستعملة في اللغة العَرَبِيَّة لدى بعض الكتَّاب آنذاك وتعني الوزير.

(٤) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (ط روشن وموسوي)، ٢/ ٩٩٩.

(٥) انظر: رشيد الدِّين، سوانح الأفكار رشيدي، ٦٨ – ٧٣.

وبرغم أنَّ القطب الشِّيرازيّ كان عالماً موسوعياً بارزاً، لكن رشيد الدِّين أيضاً من طبقة الكتّاب ذوي المواهب المتعددة، فضلاً عن الدور السياسي الَّذي أدَّاه في الدولة المغولية.

ونضيف إلى ذلك أنَّ قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ كان شافعي المذهب أي أنّه ينتمي عقائدياً وفقهياً إلى المذهب نفسه الَّذي يعتنقه رشيد الدِّين، وكان يمكن لهذا - فضلاً عن الأسباب الأخرى - أن يوثق العلاقة بين الرجلين.

ومع ذلك فلننظر إلى هذه النكات التي أطلقها بحق رشيد الدِّين - ولا شك في أنّها جارحة- لنعرف شيئاً من التنافس بينهما[1]:

لمّا سمع قُطْب الدِّين أنَّ رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ كتبَ رسالة في قوله عزَّ وجلَّ حكاية عن الملائكة: ﴿قَالُوا[سُبْحَانَكَ]لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[2]، قال: [كان] يجب عليه أن يقف على قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾.

وحين انتهى رشيد الدِّين من بناء المسجد الفخم الَّذي قلَّ نظيره في الربع الرشيدي بتبريز سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، المسجد الَّذي أخذَ بلُبِّ الشاعر المبدِع أوحدي المراغئي فرأى فيه موضعاً يليق لأن يجلس فيه الإمام المهدي المنتظر[3]، دعا رشيدُ الدِّين جمعاً من أصدقائه وكبار الشخصيات الَّذين وصفوا المحراب الذي أُنفقَ على بنائه وتزيينه أموالاً وافرة. وعندما جاء دور قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ علَّق قائلاً: «ما فيه عيبٌ، إلَّا أنَّ قِبْلته منحرفة إلى جهة المغرب»، أي إلى جهة بيت المقدس حيث قبلة اليهود. يشير بذلك إلى الديانة التي كان عليها رشيد الدِّين أو أبوه قبل إسلامه.

---

(١) النكات الثلاث ذكرها تقي الدين الفاسي في منتخَب المختار، ٢٢١، نقلاً من ابن الفوطي.

(٢) سورة البقرة: ٣٢.

(٣) انظر: لغت نامه دهخدا، مادة «ربع رشيدي».

والنُّكتة الثالثة نقلها ابن الفُوَطِيّ أيضاً، وهي أنّه قيل لقُطْب الدِّين الشِّيرازي: إنَّ رشيد الدِّين قد شَرَعَ في تفسير *القرآن* الكريم، فعلَّقَ قُطْب الدِّين بالقول: «وأنا قد اهتممتُ في تفسير *التوراة*»، أي كما أنَّ يهودياً قد شَرَعَ بتفسير *القرآن*، فسأبادر أنا المسلم إلى الشروع بتفسير *التوراة*. وكلتا النكتتين فيهما لمزٌ واضح وتلميح هو أبلغ من التصريح إلى ديانة رشيد الدِّين الأولى اليهودية.

ومن منطلق يلتزم بالتحليل السيكولوجي ومبدأ الحتمية النفسية الَّذي يقول: إنَّ الظاهرات النفسية لا تتم جزافاً، نقولُ: إنَّ هذه النُّكات تكشف عن لاشعورٍ مشحونٍ بعدوانيةٍ (**Agressivity**) مرتبطةٍ بالإحباط (**Frustration**)، هذه العدوانية موجهة نحو الآخر «رشيدِ الدِّين» الَّذي نعتقد أنَّ قُطْب الدِّين كان يرى فيه منافِساً لا يستطيع التفوُّقَ عليه، لذا فهو يبادر إلى الحَطّ من قَدْرِهِ اجتماعياً من خلال كلامه، سواء أكان غلَّفه بثوب النُّكتة والمزاح أم أنّه كان فَلْتَة لسان، فإنّه يذكِّرنا بالقاعدة السيكولوجية التي أطلقها الإمام عَليّ ﷺ قبل قرون من ظهور جهابذة التحليل النفسي، التي قال فيها: «ما أضمَرَ أحدٌ شيئاً إلَّا ظَهَرَ في فَلَتَاتِ لسانِه وصفحاتِ وجهِه»[١].

ويبدو أنَّ أمر حساسية قُطْب الدِّين من رشيد الدِّين كانت أمراً شائعاً حتى إنَّ ابن فضل الله العمريّ ينقل عن أحد شيوخه قوله: «كان لا يزال بينه (قُطْب الدِّين) وبين رشيد الوزير بغضاء تفرِّق اللَّحْم، وتدبُّ دبيبَ النار في الفَحْم»[٢].

ومع ذلك، فعندما أصدر رشيد الدِّين كتابه *التوضيحات* سنة ٧٠٦هـ، تقدَّم جمعٌ من الأدباء والعلماء لتقريظ ذلك الكتاب كان من بينهم قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ:

---

(١) نهج البلاغة، ٤/ ٧.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٩/ ١١٩.

نجد رشيد الدِّين يذكر قُطْب الدِّين بعبارة «مولانا الأعظم علَّامة العالَم، أفضل المتأخرين، قطب الملة والدِّين الشِّيرازيّ»، ووصفَ قُطْبُ الدِّين رشيدَ الدِّين بأنّه «المخدوم الأعظم والدَّسْتور[١] والعالِم، منبع الجود والكرم، معدن الفضل والحِكَم، ملجأ وزراء العرب والعجم؛ باسط الأمن والأمان، ناشر العدل والإحسان، أفضل وأكمل إيران، خواجة العالَم، رشيد الملَّة والدين...»[٢]. ترى، ما مدى الصدق في مدائح كهذه ونوايا كاتبيها مضمرة في قلوبهم التي لا سبيل إلى الاطِّلاع عليها؟

كان نصير الدين الطُّوسيّ أهم أساتذة القطب الشِّيرازيّ حيث التقاه في مراغة الإيرانية سنة ٦٥٨هـ. وهذا يعني أنَّ قُطْب الدِّين عاصر الحقبة التي كان فيها نصير الدين يجمع عقب احتلال المغول بغداد النوابغ من علماء العالم الإسلاميّ في مشروعه العلميّ الكبير مرصد مراغة، الَّذي أنقذ أيضاً أرواح العشرات من علماء الإسلام من بطش المغول حين ضمَّهم إلى هذا المشروع الضخم[٣]، بحكم أنَّ المغول قد عُرفوا بالاهتمام الفائق بالفلك والتنجيم؛ وكان الطُّوسيّ يسميه «قطب فلك الوجود، وسافر معه إلى خراسان، ثُمَّ رجع إلى بغداد وسكن بالنظامية، وأكرمه صاحب الديوان»[٤].

---

(١) الدَّستور تعني الوزير، وكان رشيد الدِّين قد أصبح وزيراً لدى السلطان غازان منذ سنة ٦٩٧هـ.

(٢) رشيد الدِّين، «تقريظ توضيحات رشيدي»، منشآت، الورقتان ٢٠ أ، ٢١ أ.

(٣) روى الصفديّ في (الوافي بالوفيات، ١/ ١٤٨)، واقعة تدخَّل فيها نصير الدين الطوسيّ بذكاء عجيب لإنقاذ حياة علاء الدين الجوينيّ من حُكم القتل الَّذي أصدره هُولاكُو بحقّه، ونجح في ذلك، ثُمَّ عقَّب الصفديّ بالقول: «وهذا غاية في الدهاء، بَلَغَ به مقصده، ودَفَعَ عن الناس أذاهم، وعن بعضهم إزهاق أرواحهم».

(٤) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٠.

وكانت للمؤرِّخ النابه ابن الفُوَطِيّ صلة بعالِنا ومؤرِّخنا قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، الَّذي التقاه في مناسبات كثيرة[١] وعاشره وهو يقول عنه: «شيخنا طبيب الدين أبو الثناء محمود بن مسعود الشِّيرازيّ»[٢]، ونال ابن الفُوَطِيّ منه إجازة في الرواية، وقال فيه أيضاً: «كان دائم الفكر والكتابة، لم يخلُ القلم من يده، وكان الناس يجتمعون إليه ويقتبسون من فوائده؛ وكان مزَّاحاً، لطيف المحاضرة، كريم الأخلاق»، ويقول عن شخصيته العلمية: «كان قد أدأب نفسه ليلاً ونهاراً في القراءة والتحصيل والبحث إلى أن فاق واشتهر في الآفاق، وهو مع ذلك عزيز النفس، عالي الهمة، يؤثر إسداء الخيرات إلى الخلائق بقلَمِه وكَلِمِه، ويسعى لهم بهمَّته وقَدَمِه، كثير المحفوظ من الأخبار والحكايات، وعيون الأشعار والمقطَّعات، باللغتين الفارسية والعربية. كتبَ الكثيرَ لنفسه من سائر العلوم النقلية والعقلية»[٣].

موسوعية قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ

لَمَّا كان قُطْب الدِّين عالماً موسوعياً، نشير إلى بعض إنجازاته على الصعيد العلمي، فقد «كان رياضياً، فلكياً، عالماً بالطبيعيات، كما عُني بالطب والفلسفة، واهتمَّ في أواخر حياته بعلم الكلام»[٤]، فعلى الصعيد الفلكي، شكَّل هو ونصير الدين الطُّوسيّ ومؤيد الدين العرضيّ ما يمكن أن نسميه «الثالوث الفلكي» في مرصد مدينة مراغة الَّذي أنشأه الطُّوسيّ بدعم من هُولاكُو وجمع فيه حشداً مهماً من علماء الفلك والرياضيات.

---

(١) انظر مثلاً: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٤٧٠، ٤/ ١٣٩، ١٤٠، ٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ٥/ ٥٤. وأشار إليه أيضاً بلفظ «شيخنا» في (٤/ ١٤٠).

(٣) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢١٩ - ٢٢٢.

(٤) ألدو ميبلي، العلم عند العرب، ٢٩٨.

يقول الأستاذ جورج صليبا عن الثلاثة هؤلاء: «إذا أخذنا بعين الاعتبار أعمال هؤلاء الثلاثة فقط لاستطعنا أن نشير إلى القرن الثالث عشر الَّذي عاش فيه هؤلاء الثلاثة شهد قيام ثورة حقيقية في البحوث الفلكية، كما شهد تغييراً جذرياً في المواقف إزاء مسلَّمات علم الفلك»[١]. وينتهي الباحث مورلون إلى القول: «وهكذا تشكَّلت (مدرسة) حقيقية حول مراغة كان لها تأثير هام على كل التطور اللاحق في علم الفلك في الشرق»[٢]. كما تمت على يده «أولى المحاولات في التفسير العقلاني لقوس قزح بواسطة الانعكاسات والانكسارات المتتالية ضمن حُبَيبات المياه»[٣].

ولمّا كنّا لا نريد التوسع في ذكر مؤلَّفاته ببليوغرافياً وفي ذكر عناوينها، سنقتصر على تلك التي أهداها إلى حكّام عصره ومشاهيره، لأنّ ذلك يعيننا على تحديد الأزمان التي أُلّفت فيها، وربما الأماكن أيضاً، فضلاً عن معرفة علاقاته بأولئك، الَّذين لا بدَّ من أن يكونوا قد بادلوه هداياهم بما جادت به أيديهم تشجيعاً للعلم وأهله ليواصلوا نشر علومهم، ممّا يطلعنا على شبكة اتصالاته بأولئك المشاهير وكذلك الأماكن التي تنقَّل فيها، وهي بمجموعها تشكّل محطَّات فاصلة في حياته. وقد قيل فيه: إنّه كان «قويّ النفس، يخاطب السلطان والوزير كما يخاطب أصحابه، مع لينٍ وحسن خُلق، ولم يكن يتكلَّف في ملبس ولا يتصدَّر في مجلس، وكان كثير الشفاعات»[٤].

---

(١) صليبا، «نظريات حركات الكواكب في علم الفلك العَرَبيّ بعد القرن الحادي عشر»، موسوعة تاريخ العلوم العَرَبِيَّة، ١/ ٩٦. وكان بناء هذا المرصد قد بدأ سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، وتمَّ في ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م.

(٢) مورلون، «مقدمة في علم الفلك»، موسوعة تاريخ العلوم العَرَبِيَّة، ١/ ٤٢.

(٣) تاتون، تاريخ العلوم العام، العلم القديم والوسيط، ٤٩٤.

(٤) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٣-٢٢٤.

وننقل فيما يأتي كلام قُطْب الدِّين في مقدمة شرحه لكتاب *القانون* لابن سينا، الَّذي سمَّاه *التحفة السعدية*، وسَرَدَ فيه سيرته الذاتية مع ذِكره أسماء بعض أساتذته:

يقول بعد البسملة والتحميد: «كنتُ من شُبَّ إلى دُبّ[1]، مغرىً بطلب العلم ومجالسة أهله والتشبه بهم حسب الإمكان، ومساعدة الزَّمَان؛ وذلك من فضل الله عَليّ ولطفه بي أنْ حبَّبه إليَّ، فبذلتُ الوسع - والله الموفِّق- في تحصيل ما وُفِّقْتُ له من أنواعه وأصنافه، حتى صار لي قوة الاطِّلاع على خفاياه، وإدراك خباياه؛ وحلّ ما لم ينحلّ إلى هذا الزَّمَان، بل من لدُن آدمﷺ إلى الآن؛ ولم آلُ جهداً في إعمال الطلَب، وابتغاء الأدب، إلى أن تشبثتُ مِن كلٍّ بطرف، وتشبَّهت فيه بأضرابي، ولا أقول تميّزتُ عن أترابي»، ثُمَّ يتكلم على صناعة الطب ويشرح مرتبتها المتقدمة في الصناعات:

«وحيث كانت مرتبة هذه الصناعة بين الصناعات ما ذَكَرْنا، وكنتُ من أهل بيتٍ مشهورين بهذه الصناعة، وإنْ كان لهم أشرف من هذه البضاعة، لكونهم موفقين في العلاج، وإصلاح المزاج، بأنفاسٍ عيسوية، وأيد موسوية؛ شغفتُ في ريعان الشباب وحداثة السن بتحصيلها، والإحاطة بمجملها وتفصيلها. فاكتحلتُ السهاد، وتجنبتُ الرقاد، إلى أن حفظت المختصرات المشهورة وتيقنتها، وشهدتُ المعالجات المتداولة وتحققتها، ومارست كلّ ما يتعلق بالطب والكَحْل، من أعمال اليد والسل، والتشمير والتقليب ولقط الطفرة والسبل، إلى غير ذلك إلَّا القَدْح فإنّه لا يحسن منّا، كلَّ ذلك عند والدي الإمام الهمام ضياء الدين مسعود بن المصلح الكازَرُونيّ، وكان بإجماعِ أقرانه - تغمَّده الله بغفرانه، وأسكنه أعلى غرف جنانه- بقراطَ زمانه، وجالينوس أوانه.

---

(١) المثل: أعييتني مِن شُبَّ إلى دُبَّ: أي من لدن كنت شابّاً إلى أن دببت على العصا (انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ٢/ ٣٢٥).

ولمّا اشتهرتُ بالحدس الصائب، والنظر الثاقب في تعديل العلاج، وتبديل المزاج؛ رتَّبوني طبيباً في المارستان المظفري بشيراز[١] بعد وفاة والدي رحمه الله، وأنا ابن أربع عشرة سنة، وبقيتُ عليه عشر سنين كأحد الأطباء الَّذين لا يتفرَّغون لمطالعةٍ اللهمّ إلَّا لمعالجة، ولا للنظر في دليلٍ اللهمَّ إلَّا في دليل.

فأبَتْ نفسي أن أكتفي من تعلُّم هذه الصناعة بما اكتفى به المعاصرون، وهو القدر الَّذي به يكتسبون، وإلى العامة يتشوقون؛ بل كلَّفتني أن أبلغ الغاية القصوى، والدرجة العليا.

فشرعتُ في كلِّيات *القانون* عند عمِّي سلطان الحكماء، مقتدى الفضلاء، كمال الدين أبي الخير ابن المصلح الكازَرُونيّ[٢]، ثُمَّ الإمام المحقِّق، والحَبر المدقِّق، شمس المِلَّة والدين مُحَمَّد بن أحمد الحكيم الكِيشيّ[٣]، ثُمَّ علَّامة وقته وهو شيخ الكُلّ في الكُلّ شرف الدين زكي البُوشكانيّ[٤]؛ فإنّهم كانوا مشهورين بتدريس هذا الكتاب، وتمييز قشره عن اللباب؛ متعيّنين لحلِّ مشكلاته، وكشف معضلاته».

---

(١) هو المستشفى المعروف بدار الشفاء الَّذي بناه الأتابك مظفر الدين أبو بكر بن سعد المتوفّى سنة٦٥٨هـ خلال مدَّة حكمه (انظر: زركوب الشِّيرازيّ، شيراز نامه، ٨٥).

(٢) ترجَمَه زركوب الشِّيرازيّ (شيراز نامه، ١٨٩)، وقال «كان حكيماً متألهاً وطبيباً متديناً، لم يكن له نظير في عصره، وكان يتقن العلوم الشرعية والدينية...، توفي سنة ٦٥٩هـ».

(٣) هو «محمَّد بن أحمد بن عبد اللّطيف. العلّامة، المصنِّف، ذو الفنون، شمس الدين القُرَشيّ، الكيشي. مدرس النظامية ببغداد. اتفق مولده بكيش سنة خمس عشرة وستمائة. وكان موته بشيراز [سنة ٦٩٥هـ]» (جُنَيد الشِّيرازيّ، شدّ الإزار، ١١٠، ونصَّ على أنّ قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ كان من تلامذته؛ الصَّفَديّ، الوافي بالوفيات، ٢/ ١٠٠؛ مجهول كتاب الحوادث، ٥٢٨، الَّذي قال: إنّه توفّي سنة ٦٩٤هـ، وهو من سهو القلم). طُبع أخيراً أحد آثاره وهو الإرشاد إلى علم الإعراب.

(٤) لم نهتدِ إلى ترجمته.

ثُمَّ يذكر بعد ذلك مجموعة من العلماء والأطباء ممّن شرحوا كتاب *القانون* لابن سينا وما أخذه على شروحهم؛ وبعد أن لم يجد غنىً في تلك الشروح سافر وعمره نيِّف وعشرون سنة[1] إلى نصير الدين الطُّوسيّ الَّذي يصفه بالقول: «توجَّهتُ تلقاء مدينة العلم، وشطر كعبة الحكمة، وهي الحضرة العليَّة البهيَّة القدسية، والسُّدَّة الزكيَّة الفيلسوفيَّة الأستاذيَّة النصيريَّة، قدَّسَ اللهُ نفسَه، وروَّحَ رمسَه، فانحلَّ بعضُ المنغلق، وبقي البعض»، ويطلعنا بعدها على رحلاته في البلدان التي استفاد منها في التباحث مع حكمائها وأطبائها فيقول: «ثم سافرتُ إلى بلاد خراسان، ومنها إلى بلاد عراق العجم، ثُمَّ إلى عراق العرب بغداد ونواحيه، ومنه إلى بلاد الروم؛ وباحثتُ مع حكماء هذه الأمصار، وأطباء تلك الأقطار؛ وسألتهم عن حقائق تلك المضايق، واستفدتُ ما كان عندهم من الدقائق، حتى اجتمع عندي ما لم يجتمع عند أحد من الحقائق. وكان كل هذا الاجتهاد، وتطواف البلاد إلى الروم حتى أجمع المجهول من الكتاب أكثر من المعلوم. إلى أن ترسَّلتُ سنة إحدى وثمانين وست مئة إلى سلطان مصر الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي، سقاه الله شآبيب رضوانه، وكساه جلابيب غفرانه، فظفرتُ هناك بثلاثة شروح تامة للكلِّيات...» .

ثُمَّ يعرِّج على ذكر الأطباء الثلاثة الَّذين ألَّفوا تلك الشروح فضلاً عن شرح على حواشي الكتاب لعبد اللطيف بن يوسف البَغْدَادِيّ، ويقول: «وحيث طالعتُ هذه الشروح وغيرها مما ظفرتُ به انحلَّ الباقي من الكتاب، بحيث لم يبق فيه موضع انغلاق ولا إشكال، ولا محلّ قيلٍ وقال». والخلاصة إنّه قرَّر تأليف شرحه على كتاب ابن سينا، مستفيداً من كلّ تلك التجارب فضلاً عن تجاربه الشخصية.

---

(١) انظر: المتقي الفاسي، منتخب المختار، ٢٢٠.

يحدد قُطْب الدِّين تأريخ شروعه بتأليف هذا الكتاب بسنة ٦٨٢هـ، وأنّه بعد أن كتب الأول «فانتشر في الآفاق واشتهر في الأقطار، واستحسنه طبعُ الصغار والكبار»، طُلِبَ إليه أن يكمَله، فكتب الشرح الثاني. وبعد أن يشكو الزَّمَان وجفاء أهله، يعرِّج على ذِكْرِ «شروق شمس الدولة الغازانية»، و ذِكْرِ سعدِ الدين السَّاوَجيّ (أو السَّاوِيّ) وزيرِ السلطان محمود غازان، فبالغ في الثناء عليهما بسطور طويلة[1]. ونحن نعلم أنّ السلطان محمود غازان حكم خلال السنوات من ٦٩٤ - ٧٠٣هـ، أمّا السَّاوَجيّ فاستوزر أواخر سنة ٦٩٧هـ[2]؛ ولمّا لم يترحَّم عليهما، دلَّ ذلك على أنّهما كانا ما يزالان على قيد الحياة خلال تأليفه كتابَه، ونعتقد أنَّ الشرح الثاني للكتاب أُلِّف ومحمود غازان ما يزال حياً، وأنّه انتهى منه قبل سنة ٧٠٣هـ. وقد نصَّ في مقدمة كتابه أنّه سمَّاه *التحفة السعدية* تيمناً بالوزير سعد الدين السَّاوِيّ، وحين أتمَّه أهداه إليه؛ وصف أبو القاسم القاشانيّ هذا الوزيرَ- وكان معاصراً له- بأنّه «كان متجنباً لاقتراف الخطايا، متقياً، متديناً، عابداً، زاهداً، ورعاً، خائفاً من الله، محباً للفقراء، متفقداً للمساكين، قاضياً للحاجات، محباً للعلوم، راعياً للعلماء والفضلاء والزهَّاد والعبَّاد»[3].

إنّما أطلنا الكلام على كتاب *التحفة السَّعْدَيَّة* لأهمية المعلومات والتواريخ التي ذُكرت فيه ممّا يسعفنا على تتبّع تطوره العلمي ورحلاته وتنقّله في البلدان، وفي الوقت نفسه معرفة علاقته بالحكّام المغول وغيرهم.

---

(١) اقتبسنا هذا التلخيص من أول التحفة السعدية لقُطْب الدِّين الشيرازي، الأوراق ١ - ٧.

(٢) قُتل هذا الوزير فيما بعد سنة ٧١١هـ، بأمر السلطان أولجايتو خدابنده.

(٣) أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ١٢٨.

هناك كتابه الذي انتهى منه في ٢٤ ربيع الأول سنة ٦٧٦هـ[١]، *دُرَّة التاج لغُرَّة الدُّبَاج*، وهو موسوعة تضمّنت أنواع العلوم من فلسفة ومنطق ورياضيات وهندسة وموسيقى...، ألّفه لحاكم بلاد جيلان «دُباج ابن السلطان السعيد حسام الدولة والدين فيلشاه بن الملك المعظم سيف الدين رستم بن دُبَاج»[٢](٦٦٠ ـ ٧١٤هـ).

ولقُطْب الدِّين أيضاً *كتاب تَرجَمَة أصول أقليدس*، ألَّفه على عهد تاج الدين المعتز ابن طاهر في أول شعبان سنة ٦٨١هـ[٣].

وهناك كتابه *نهاية الإدراك* في الفلك الَّذي أهداه إلى أحد حكَّام بلاد الروم، حيث نقرأ في ترجمته: «مجير الدين أمير شاه بن تاج الدين معين بن طاهر، نائب السلطنة بالروم: كان من الحكّام ببلاد الروم، وله سيرة حسنة، وقواعد مستحسنة؛ ولأجله صنَّف مولانا قطب [الدين] الشِّيرازيّ كتابه *نهاية الإدراك في دراية الأفلاك*»[٤].

---

(١) انظر: دانش پزوه، فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٨٤.

(٢) قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ في أول كتابه درة التاج (الورقة ٣ أ). ويُكتب «دوباج» أيضاً. قال الذَّهَبيّ في ذيل تاريخ الإسلام، ١٤٦: إنّه «نزل عن السلطنة لابنه وقدِم الشام ليحجّ ويسكن دمشق، فأدركه الأجل بقباقب قرب تدمر، فحملوه إلى دمشق، وأُنشئت له تربة مليحة بشرقي سوق الصالحية ورُتِبَ بها المقرئون. وكان فارساً شجاعاً عاقلاً مهيباً، يقال: إنّه هو الَّذي رمى الملك خطلو شاه بسهم قتلَه، نوبةَ قَصَدَت التتار أَخْذَ جيلان سنة ٧٠٦، وعليهم خطلو شاه، فقُتِل، وسلَّط عليهم الجيالِنة البحر المِلْحَ في الليل، فغرق طائفة وانهزم الباقون بأسوأ حال» (انظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/ ٨١). الجيالنة: أهل جيلان.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ١/ ٤٨، وفيه أنّ هذه النسخة كُتبت في رمضان سنة ٧٠١هـ.

(٤) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٥٦٤. توفي مجير الدين هذا سنة ٧٠١هـ في قراباغ أرَّان (انظر: الآقْسَرَائيّ، مسامرة الأخبار، ٢٩٣).

ويقول آغا بُزُرْك: «*نهاية الإدراك في شرح التذكرة النصيرية* في الهيئة[١]؛ أصل *التذكرة* للخواجه نصير الدين الطُّوسيّ، وأمّا هذا الشرح فهو للعلَّامة قُطْب الدِّين محمود الشِّيرازيّ»[٢].

اختيارات المظفريّ، في الفلك، ألَّفه للأمير مظفر الدين يولق أرسلان ألپيورگ الچوپانيّ حاكم قسطموني[٣] (ت ٧٠٤هـ)، أورد مختارات منه في *نهاية الإدراك*[٤].

ثم *التحفة الشاهية*، ألَّفه للوزير «أمير شاه مُحَمَّد بن الصدر السعيد تاج الدين معتز ابن طاهر، وهو متأخر عن *نهاية الإدراك*»[٥].

وكتاب *فَعَلْتَ فلاَ تَلُمْ*، وسبب تأليفه أنَّ أحد معاصريه[٦] قد كتب «ما سمَّاه *تبيان مقاصد التذكرة* وما كان هو إلَّا عين *التحفة الشاهية* بجميع ألفاظها من دون نسبة إليه إلَّا في مواضع ظنَّ المعاصرُ فسادها فنسبها إلى صاحب *التحفة*؛ ويورد عليه اعتراضات باردة غير واردة. فعمد القطب إلى دفعها، والنسخة بخطّه [بخطّ قُطْب الدِّين] في الخزانة الغروية في النَّجَف الأشرف»[٧].

---

(١) عنوانه التذكرة في علم الهيئة، والطُّوسيّ هو أبو جعفر نصير الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن (٥٩٧ – ٦٧٢هـ)، الفيلسوف وعالم الفلك والرياضيات المعروف.

(٢) آغا بُزُرْك، الذريعة، ٦/ ٢٢٨.

(٣) قسطموني: ولاية في تركيا، تقع في شمال غربي آسيا الصغرى.

(٤) انظر: دانش پزوه، فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٦.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٣٦٨.

(٦) اسم هذا السارق لكتاب قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ هو مُحَمَّد بن عَليّ بن الحسين المنجم حماذي (؟) (انظر: فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٣٦٠).

(٧) آغا بُزُرْك، ذيل كشف الظنون، ٢٧ – ٢٨.

أهداه إلى خزانة كتب أصيل الدين الحسن بن نصير الدين الطُّوسيّ[١].

مخطوطة الكتاب

هي مجموعة مخطوطة مكتوبة بخطِّ العلَّامة قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ نفسه، محفوظة في مكتبة آية الله المرعشيّ النَّجَفيّ بمدينة قم[٢]، وتأريخ كتابتها ورد قبيل الانتهاء من الأثر الأخير للسموأل (*نسخةُ مسألةٍ وردت على السَّمَوْأل...*)، حيث كتب قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ: «أحوج خلق الله محمود بن مسعود الشِّيرازيّ، ختمَ اللهُ له بالحُسنى، من خطّ السموأل، وذلك في سَرَار[٣] ربيع الآخر من شهور سنة خمس وثمانين وست مئة، وفي بلدة قُونية، صانَها اللهُ من الآفات».

تضمنت هذه المجموعة الآثار الآتية:

١ - *مجلس في الأخلاق* للشَّهْرَسْتانيّ (٤٦٩ - ٥٤٨هـ)[٤].

---

(١) انظر: دانش پزوه، فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٣٦٠.

(٢) أصدرت لها المكتبة نفسها طبعة تصويرية سنة ٢٠١٣م، مصدَّرة بمقدمة للسيّد محمود المرعشيّ النَّجَفيّ، ونشير هنا إلى أرقام صفحات هذه المطبوعة.

(٣) سَرَارُ الشَّهر: آخر ليلة منه.

(٤) ذُكرت ثلاث روايات لولادته: ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٩هـ (انظر: آذرشب، مقدمة مفاتيح الأسرار، ١/ ١٦)، فآثرنا ٤٦٩هـ؛ لكون السمعانيّ الَّذي كان الشهرستانيُّ شيخَه قد ذكرها، فضلاً عن أنّ المؤرِّخ فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ، ٢/ ١٩٠)، قد نصَّ عليها أيضاً. أمّا نسبته، فقال السمعاني: «الشَّهْرَسْتانيّ: بفتح الشين والراء، بينهما هاء، ثُمَّ السين المهملة الساكنه، والتاء المفتوحة ثالث الحروف، بعدها الألف، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى شهرستانة وهي بليدة من الثغور، عند نَسَا من خراسان، ممّا يلي خوارزم يُقال لها: رباط شهرستانة» (الأنساب، ٣/ ٤٧٥)

وهو محمّد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتانيّ الشَّافِعِيّ الأشعريّ[١]، باللغة الفارسية (الصفحات ٢٧ - ٩٦، من الطبعة التصويرية)، ناقص الأول؛ وهو نفسه الَّذي تَرجَمه الدكتور آذرشب ملحقاً في آخر تحقيقه لكتاب مفاتيح الأسرار للشهرستانيّ[٢]، وكان عنوانه هناك: «هذا مجلس عقده الإمام تاجُ الدين مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ (واعتقده واعتمده)، تغمَّده اللهُ بغفرانه».

٢- *ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان* لقُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، وهو بالفارسية، ويشغل الصفحات من (٧٠ - ١٠٣)، وسنتكلم عليه لاحقاً.

٣- *نُكَتٌ لطيفةٌ في العلم والعمل*[٣] أو *اللمعة الجُوَيْنيّة* (بالعربية).

---

(١) على ما قرَّره الدكتور آذرشب في مقدمته لكتاب مفاتيح الأسرار. قال الزركلي في الأعلام (٦/ ٢١٥): «من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يُلقَّب بالأفضل. وُلد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم)، وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ، فأقام ٣ سنين، وعاد إلى بلده وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: «الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطُه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبّ عنهم لكان هو الإمام). من كتبه الملل والنحل؛ نهاية الإقدام في علم الكلام؛ مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار؛ مصارعات الفلاسفة...» . وكتبه الأربعة هذه مطبوعة، وطُبع الأخير تحت عنوان مصارعة الفلاسفة.

(٢) انظر: الشهرستانيّ، مفاتيح الأسرار، ٢/ ١٠٦٤ - ١٠٩٠. وقد كُتب في آخر هذه المخطوطة: «نُقِلَ من خط العلّامة الشِّيرازيّ؛ ومع هذا كانت النسخة سقيمة، والحمد لله وحده»، وعبارة قُطْب الدِّين كما نجدها في مخطوطتنا هي: «نُقِل من نسخة منقولة، من نسخة منقولة، من نسخة بخطّ الإمام تاج الدين مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ؛ ومع هذا كانت النسخة سقيمة، وأصلحتُ ما أمكن إصلاحُه عند النقل». (ص ٦٩ من الطبعة التصويرية).

(٣) هكذا كتب مؤلِّفُها ابن كَمُّونة في أولها.

وهذا الكتاب من تأليف سعد بن منصور بن سعد، عز الدولة ابن كَمُّونَة اليهوديّ المتوفّى سنة ٦٨٣هـ (الصفحات ١٠٥ - ١٤٤). قال آغا بُزُرْك: إنّه «توجد جملة من تصانيف ابن كَمُّونة في الخزانة الغَرَوِيَّة بخطِّه تواريخها من سنة ٦٧٠ إلى سنة ٦٧٩هـ، ومنها *اللمعة الجُوَيْنيّة*، في الحكمة العلميةوالعملية، التي كتبها باسم الصاحب شمس الدين مُحَمَّد بن الصاحب بهاء الدين الجُوَيْنيّ»[١].

٤- *تنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث*، لابن كَمُّونة أيضاً، الصفحات (١٤٥ - ٢٨٤)، وهو بالعربية[٢].

٥- *إفحام اليهود* (بالعربية)، الصفحات (٢٨٦ - ٣١٤)، من تأليف السَّمَوْأَل بن يحيى بن عباس المغربي المتوفّى نحو سنة ٥٧٠هـ[٣]. ورد في مخطوطتنا (ص ٢٨٥): «من أمالي السَّمَوْأَل بن يحيى بن عباس المغربيّ في يوم الجمعة في تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمس مئة».

٦- *نسخةُ مسألةٍ وردت على السَّمَوْأَل من بعض الزنادقة المتفلسفة* (بالعربية)، تأليف السَّمَوْأَل أيضاً، الصفحات (٣١٥ - ٣٢٠).

---

(١) آغا بُزُرْك الطهراني، الذريعة، ٢/ ٢٨٦.

(٢) انظر: كتاب الحوادث، ٤٧٦، عن احتجاجات العوام الَّذين أرادوا قتله بسبب هذا الكتاب.

(٣) نَقَلَ ابنُ أبي اصيبعة (عيون الأنباء، ٤٧١) ترجمته من موفق الدّين عبد اللَّطِيف البَغْدَادِيّ وقَالَ: «شَابٌّ بغداديّ كَانَ يَهُودِيّاً ثُمَّ أسلم وَمَات شَابّاً بمراغة...، وَأقَام بديار بكر وآذربيجان...، وأقَام بِمَدِينَة المَراغة وأولد أَوْلاداً هُنَاكَ سلكوا طَرِيقَته فِي الطِّبّ. وارتحل إِلَى الْموصل وديار بكر وَأسلم فَحسن إِسْلامه وصنّف كتاباً فِي إِظْهَار معايب الْيَهُود وَكذب دعاويهم فِي التَّوْرَاة ومواضع الدَّلِيل على تبديلها وأحكمَ مَا جمعه فِي ذَلِك وَمَات بالمراغة قَرِيبا من سنة سبعين وَخَمْس مِئة».

وقد حُقِّق من هذه المجموعة ثلاثة كتب هي *مجلس في الأخلاق* للشهرستانيّ؛ *ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان* لقُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، طُبِعَ في إيران تحت عنوان *أخبار مغولان در أنبانه قُطْب*؛ *إفحام اليهود* للسَّمَوأل المغربيّ[١].

كتاب ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان وأهميته

تأتي أهمية هذا الأثر لكون كاتبه قد عاصر أهم الوقائع التي رافقت الغزو المَغُوليّ لعالمنا الإسلاميّ في أشد عنفوانه، عصر هُولاكُو الَّذي شهد اجتياح قلاع الإسماعيلية في إيران وغزو العراق الَّذي انتهى بإسقاط الخلافة العَبَّاسِيَّة.

فيما تتعلَّق بالمصادر الخاصة بهذا الغزو، يقول بارتولد بشأن ما شهده القرنان ١٣ و١٤ الميلاديَّان من ظهور تواريخ باللغة الفارسية: «إنّ أدب التأريخ قد بلغ في إيران شأواً بعيداً في ذلك العصر»[٢]. ويقول الباحث برتشنايدر: «إنّ كتَّابنا نحن الأوربيين في التأريخ الَّذين انبروا لكتابة التأريخ المَغُوليّ قد استندوا بشكل تام تقريباً إلى كتابات المؤرِّخين المسلمين في القرنين ١٣ و ١٤م (٧ و ٨هـ)...، وإنّ المؤرِّخين الصينيين والمغول لم يتمكَّنوا إطلاقاً من أن يقدموا روايات وتفاصيل كتلك التي قدَّمتها الأقلام المقتدرة للمؤرِّخين الإيرانيين»[٣]. وبصورة عامة وفيما يتعلق بتأريخ المغول فإنّ الباحث المعروف في التأريخ المَغُوليّ ديفيد مورغان يقرِّر «أنَّ على كتَّاب التاريخ المَغُوليّ أن تكون لهم معرفة باللغة الفارسية بالدرجة الأولى، ثُمَّ باللغة الصينية»[٤].

---

(١) طُبع طبعات متعددة بعنوان بذل المجهود في إفحام اليهود.

(٢) بارتولد، تركستان...، ١٢٦.

(٣) برتشنايدر، إيران وما وراء النهر، ٢٢٠.

(٤) تيموري، إمبراطوري مغول وإيران، ٥٥٠.

وأراني ملزماً بأن أُشير إلى أنَّ فن التاريخ في اللغة العَرَبِيَّة خلال حقبة الحكم المَغُوليّ هو الآخر قد شهد أيضاً غزارة في التأليف، وخصوصاً مدرسة المؤرِّخين البغاددة التي أبدعت من الآثار ما جعل كثيراً من المؤرِّخين الَّذين عاشوا خارج الإطار الجغرافي العراقي يغترفون لسنواتٍ من نمير هذه المدرسة المَنسيَّة. وهي المدرسة التي يتشرف كاتب هذه السطور بأنّه أول مَن أطلق عليها في كتاباته عنوان «المثلَّث الذَّهَبيّ لمؤرِّخي بغداد»، الَّذين شكَّلوا ما سمَّيناه «الرواية البَغْدَادِيَّة عن الغزو المَغُوليّ للعراق»، وهي الرواية الحقيقية التي روى مؤرِّخوها الوقائع رأي العين واكتَووا بنارها، تمييزاً لها عن «الرواية الشامية/ المصرية» الزائفة التي استندت إلى الإشاعات وكتبت بأقلام مؤرِّخين جاؤوا بعد واقعة الغزو المَغُوليّ للعراق بعقود، وبعضهم وُلِدَ بعده بقرون، بل لم يصلوا إلى بغداد أمثال الذَّهَبيّ وابن كثير وابن شاكر والسُّبْكيّ وابن تَغْري بَرْدي...

المثلَّث الذَّهَبيّ لمؤرِّخي بغداد

هم ثلاثة من المؤرِّخين البغداديين المتعاصرين المرتبطين بروابط الرواية عن بعضهم والعمل، وهم بحقّ جيل عمالقة مؤرِّخي بغداد، وقد هُيِّئ لهم من ظروف الكتابة في المجال التأريخي ما ندر أن يُهَيَّأ لغيرهم؛ فقد وُلِدوا في بغداد حاضرة الخلافة وعاشوا في ظل حكوماتها التي حاقت بها الأهوال، وكانوا فيها ساعة اقتحام المغول لمدينتهم ورأوا فظائع ما فعلوه فيها؛ ثُمَّ عاشوا في ظل الحكم المَغُوليّ، وماتوا ودُفنوا في أرض بغداد، بل إنّ أحدهم (ابن الفُوَطِيّ) وقع في أسر المغول هو وأخوه؛ وهؤلاء: عَليّ بن أنجب المعروف بابن الساعي البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ (٥٩٣ - ٦٧٤هـ)؛ ظهير الدين عَليّ بن مُحَمَّد البَغْدَادِيّ المعروف بابن الكازَرُونيّ الشَّافِعِيّ (٦١١ - ٦٩٧هـ)؛ عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفُوَطِيّ الشيبانيّ البَغْدَادِيّ الحَنْبَلِيّ (٦٤٢ - ٧٢٣هـ).

لقد وفَّر هؤلاء لنا فرصة ذهبية نادرة لمعرفة حقيقة ما جرى في تلك السنوات السُّود، برغم ضياع أغلب مؤلَّفاتهم وامتناع كثير من المؤرِّخين المتأخرين عن النقل ممّا كان بين أيديهم من آثارهم، حين اكتشفوا أنّ ما فيها لا يتفق والرؤية التقليدية التي توارثوها ودأبوا على استنساخها وتَكرارها. لكن المعثور عليه من مؤلَّفاتهم، والشذرات الباقية المتناثرة منها في المصادر، كان كافياً ليقدَّم لنا رواية جديدة متماسكة تنير الكثير من زوايا ظلَّت مظلمة قروناً عديدة بشأن واقعة الاحتلال المَغُوليّ لبغداد.

وإنّما عرَّجنا على ذكر هذه المدرسة لأنّ النص الَّذي كتبه مؤلِّفنا قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ ينتمي إليها، أي «مدرسة المثلث الذَّهَبيّ البَغْدَادِيّ» التي يمكن أن نضع فيها حشداً من المؤرِّخين ممّن اقتَبَسوا من كتاباتها أو ساروا على منوالها من أمثال ابن العِبْرِيّ (٦٢٣ - ٦٨٥هـ)، ورشيد الدِّين الهَمَذَانيّ (٦٤٨ - ٧١٨هـ)، وابن الطقطقى (كان حياً حوالي ٧٢٠هـ)[1]، وهِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ (كان حياً سنة ٧٢٤هـ)...

وفي الوقت الَّذي أدَّى فيه لجوء المؤرِّخين الفرس إلى بلاطات الملوك المغول - وخصوصاً مَن أعلن إسلامه مِن إيلخانات إيران - إلى بقاء الكثير من آثارهم وتداولها، فإنّ الغزوات المتتالية على العراق التي استمرت طويلاً بعد الغزو المَغُوليّ، أدت إلى ضياع أغلب آثار مؤرِّخي المدرسة البَغْدَادِيَّة؛ وحتى تلك التي قُيِّض لها أن تصل إلى بلاد الشام، طالتها يد التدمير والإحراق خلال الغزوات المغولية اللاحقة لتلك البلاد. وإذا حدث أن اطَّلع عليها أحد مؤرِّخي «المدرسة الشامية/ المصرية»، فإنّه لم يكن ينقل من أخبارها الخاصة بالغزو المَغُوليّ إلَّا القليل ممّا يتوافق ورؤاه الإيديولوجية.

---

(١) استناداً إلى ما حقّقه السيّد علاء الموسويّ في مقدمته لكتاب (المختصر في مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر لابن الطقطقى، ٨٢ - ٨٤).

عنوان الكتاب

عنوان الكتاب كما كتبه قُطْب الدِّين في أول سطر منه هو *ابتدا دولت مغول وخروج جنكيز خان* (= *ابتداء دولة المغول وظهور جنكيز خان*). ولكن محقّق الطبعة الفارسية اختار له عنواناً هو *أخبار مغولان در آنبانَه قُطْب*، وترجمته: أخبار المغول ممَّا في جِرَاب القطب، أي قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ. وكأنَّ المحقِّق افترض أنَّ المجموعة الخطية التي كان من بينها هذا الكتاب هي جِرابٌ[1] حوى مجموعة نفائس كان منها هذا الكتاب.

ولدينا معلومة من الذَّهَبيّ بشأن تأليف قُطْب الدِّين كتبَه يقول فيها: «إذا صنَّفَ كتاباً [صلَّى] وصامَ ولازمَ السَّهَرَ، ومسوَّدته مبيَّضته»[2]؛ وإنّ المجموعة التي بين أيدينا التي كتبها قُطْب الدِّين بيده دالَّة على صدق ما ذكره الذَّهَبيّ، حيث السرعة في كتابة الكلمات وعدم الاهتمام بتجميل الخط ممّا أدى في مواضع كثيرة إلى صعوبة في قراءة الكلمات، وربما أدى ذلك إلى البعد بالجملة عن معناها الَّذي قَصَدَه المؤلِّف.

ونضرب لذلك مثلاً بما حدث في طبعة الكتاب الفارسية التي حقّقها علم من أبرز أعلام التحقيق في إيران، ونعني بذاك الأستاذ العالِم إيرج أفشار؛ حيث نجد في *أخبار المغول* (ص ٦٥ من المطبوعة، وفي الورقة ٣٩ أ) الجملة التي تضمنت هذا الموضع الَّذي كُتِبَ «تورغاج»، بالصورة الآتية:

---

(١) الجِراب: وعاء من الجلد يُدبغ ويُخَاط بصورة تجعله قادراً على أن توضع فيه الأشياء أو الماء ويحمل بعدها في الأسفار على الكتف أو على ظهور الدواب، ويُقال له بالعربية الخُرْج أيضاً، وهذه الكلمة معروفة في عامِّيتنا العراقية بلفظيها الجراب والخُرج.

(٢) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ انظر أيضاً: الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠؛ وما بين العضادتين اقتبسناه من التقيّ الفاسيّ (منتخب المختار، ٢٢٣)، الَّذي قال: إنّه نقل من الذَّهَبيّ.

«بعد از آن در تورغاج كه شور وكنكاج كردند...»، وترجمتها: «عقب ذلك وحين حصلت في تورغاج اضطرابات ونقاشات...»؛ وصواب الكلمة هو «يوزآغاج»، وينبغي أنْ تُقرأ الجُملة: «بعد از آن در يوزآغاج هشترود كنكاج كردند...» ، وترجمتها: «عقب ذلك تشاوروا في يوزآغاج من هشترود...» . وكلمة «هشترود» واضحة في المخطوطة سوى أن حرف «د» لم يُكتب في آخر الكلمة[١].

وعلى ذكر الفوائد الجغرافية في الكتاب - وهي كثيرة- فلو أخذنا مثلاً قوله عن شرويا التي يكثر ورودها في الكتاب: «رباط مسلم الواقع في شرويا بين مدينتي أبهر وزنجان»، حيث حدَّد مؤلِّفنا موقع شرويا الَّذي نجده بشكل نادر لدى بعض كتَّاب تلك الحقبة من غير تحديد لموقعها بصورة دقيقة[٢]، سوى ما أتحفنا به رشيد الدِّين بقوله: إنَّ شرويا هي نفسها المرج المعروف باسم قونغور أولانك[٣].

أهمية الكتاب التاريخية

يكتسب كتاب *ابتداء دولة المغول* أهمية خاصة لِما اشتمل عليه من معلومات قد يلتقي بعضها أحياناً بما نعرفه من المصادر الخاصة بالتاريخ المَغُوليّ وخصوصاً *جامع التواريخ* لرشيد الدِّين، لكن بعضها الآخر هو ممّا تفرَّد قُطْب الدِّين بذكره.

ولا عجب في ذلك فالرجل قد عاصر الحملة المغولية بقيادة هُولاكُو على قلاع الإسماعيلية في إيران ثُمَّ هجومه على العراق، وهي الحملة التي كلَّفه بها أخوه مُنْكو قاآن، بل هو يتحدَّث عن مهارة هُولاكُو في إدارة البلاد فيقول:

---

(١) وقد عرَّفنا بهذه المدينة في الموضع الَّذي ذُكرت فيه في آخر الكتاب.

(٢) انظر مثلاً: وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ١٧٩؛ ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ١/ ٥١٣، ٥/ ٧٨.

(٣) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٥٥، وسنعرِّف بهذا الموضع لاحقاً.

«شاهدنا في بلاطه مراراً أنَّ أعمال هذه الولايات تُعرَض عليه في يوم واحد»[١].

لا نعلم متى التحق ببلاط هُولاكُو لكنه قدَّمَ تفاصيل مهمة عن بدايات الحملة المغوليَّة والحكام المسلمين الَّذين ساهموا فيها بإرسال الجيوش أو التجهيزات والمعدات الحربية واللوجستية، وانطلقوا مع هُولاكُو للهجوم على العراق سنة ٦٥٦هـ وأسقطوا الخلافة العَبَّاسِيَّة، وساهموا مساهمة فعّالة في قتل سكان بغداد وبعض مناطق العراق.

على أن نشير هنا إلى الدور السلبي الَّذي قام به بعض رجال الدين في تحريض المغول على بلاد المسلمين:

أشهر مَن عرف من هؤلاء المحرِّضين اثنان، الأب وهو قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن عبد الحميد القَزْوينيّ الشَّافِعِيّ، ونجله - وهو قاضي القضاة أيضاً- رضي الدين محمّد، و«كانا صاحبي جلالٍ وثروة هائلة وشغلا منصب قاضي قضاة عراق العجم[٢]، ودَعَوَا هُولاكُو خان إلى دفع شَرِّ الملاحدة الملاعين؛ وقد بذلا جهوداً مضنية في هذا السبيل إلى أن تمكَّنا من اقتلاع أولئك الملاعين وأنقذا سكَّانَ العالَم من شرِّهم، جزاهما اللهُ خيراً»[٣].

كان أهل قزوين آنذاك في صراع طويل مرير مع الإسماعيلية المجاورين لمدينتهم[٤].

---

(١) قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، ابتدا دولت مغول، الورقة ٢٤ ب.

(٢) عراق العجم: تسمية قديمة أُطلقت على المنطقة الواقعة بين أصفهان وهمذان وطهران، وتشتمل على المدن: كرمانشاه، همذان، ملاير، أراك، كلبايكان، أصفهان (معين، فرهنك فارسي)، ووضع هذا الاسم تمييزاً له عن عراقنا المعروف الَّذي يسمُّونه عراق العرب.

(٣) كما يقول مواطنُهما حَمْدُ الله المُسْتَوفي القَزْوينيّ في (تأريخ گزيده، ٨١١). والملاحدة مصطلح يُعبَّر به آنذاك عن أتباع المذهب الإسماعيلي.

(٤) عن هذا الصراع، انظر: ابن الطِّقْطَقَى، الفخري، ٣١؛ مِنْهَاج سِرَاج، طبقات ناصري، ٢/ ١٨١.

لكنَّ هذين القاضيين أقدما على خطوة خطيرة حين حرَّضا الملك المَغُوليّ مُنْكو قاآن على غزو مدن الإسماعيلية وقلاعهم وهو ما استجاب له، حيث نال هذا الدعم المعنويّ والشرعي الإسلاميّ لحملته.

إنّ أقرب المؤرِّخين زمنياً من هذا اللقاء كان مِنْهَاج سِرَاج الجَوْزَجَانيّ، برغم أنَّ آخرين قد ذكروه أيضاً[1]، لكن ابن خلدون قال: «ووفد عليه (على مُنْكو قاآن) جماعة من أهل قزوين وبلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الإسماعيلية وفسادهم فجهَّزَ أخاه هلاكو لقتالهم واستئصال قلاعهم»[2].

إنَّ هذا يعنى أنَّ هذين الاثنين كانا في ضمن وفدٍ قزويني، أو أنَّ هذا الوفد ذهب بشكل مستقل عنهما.

يقول المؤرِّخ مِنْهَاج سِرَاج[3]:

«كان القاضي شمس الدين القَزْوينيّ إماماً وعالماً مرموقاً، سافر عدة مرات إلى بلاد الخِطا وتحمَّل النَّصَبَ ومفارقة الأوطان، إلى أن تسنَّم مُنْكو قاآن العرشَ، فذهب إليه مستغيثاً، وشرح له شرور الملاحدة وإفسادهم في بلاد الإسلام.

---

(١) ممّن ذكر هذا اللقاء التحريضيّ: ابن الطِّقْطَقَى في الفخري، ٣١؛ رشيد الدِّين في جامع التواريخ، الطبعة الفارسية، ٢/ ٦٨٤ – ٦٨٥، وفي ٢(١)/ ٢٣٣ من التَّرْجَمَة العَرَبِيَّة؛ حَمْدُ الله المُسْتَوفي القَزْوينيّ في تأريخ گزيده، ٨١١، وفي ملحمته الشعرية ظفر نامه التي نشر الأستاذ عناية الله مجيدي المقاطع الخاصَّة منها بغزو قلاع الإسماعيلية وفيها خبر اللقاء المذكور(انظر: ميمون دز أَلْموت، ١٧٥ – ٢٠٢)؛ مير خواند في روضة الصفاء، المجلد الخامس/ الورقة ٢٦٩، ٢٨٠؛ خواند مير في حبيب السير، المجلد الثالث/ الورقة ٢٦أ.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٥/ ٥٢٩.

(٣) لَقَّبَ مِنْهَاج سِرَاج نفسَه بـ«الناصر لأهل السُّنَّة والجماعة» (انظر: طبقات ناصري، ١/ ٦).

وقد تحدَّث في البلاط منطلقاً من صلابة الإنسان المسلم ودينه بلهجة جافة أثارت حفيظة مُنْكو قاآن بحيث استولى عليه الغضب وغرور السلطة، ووَصَفَ إدارتَه الملكية للبلاد بالعجز والضعف.

فقال مُنْكو قاآن: تُرى أيَّ عجزٍ شاهده القاضي في مملكتنا بحيث تفوَّه بهذا النوع من الكلمات القاسية؟ قال القاضي شمس الدين: وكيف يكون العَجْز بحيث شيَّد جمعٌ من الملاحدة عدَّة قلاع، وهم يعتنقون ديناً يغاير الديانة النصرانيَّة ويغاير دين المسلمين والمغول، وهم يخدعونك بدفعهم مالاً إليك، بينما هم يتحيَّنون الفرصة لظهور أدنى أمارة من أمارات الضعف في دولتك ليندفعوا من بين الجبال والقلاع ويقضوا على البقية الباقية من أهل الإسلام ولا يَدَعُوا للإسلام أثراً؟.

لقد أهاجت هذه الكلمات غضب مُنْكو قاآن فأمرَ باجتثاث جذورِ قلاعِ وبلادِ الملاحدة وقهستان[1] وأَلَمُوت[2].

تحرَّكت جيوشُ تركستان التي في بلاد إيران والعجم، من خراسان والعراق إلى بلادِ قهستان وقلاعِ أَلَمُوت.

---

(١) قهستان أو كُهستان أو كوهستان: اسم ولاية كانت قديماً في القسم الجنوبي من خراسان، تقع بين يزد وخراسان (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي)، كان فيها ما يزيد على خمسين قلعة حصينة للإسماعيلية (انظر: الجويني، تاريخ جَهَانْگُشَا، ٣/ ٧١٣).

(٢) آلَه: العُقاب، أموت: العُشّ، فالمعنى عُشُّ العُقَاب، تبعد حوالي ٣٥ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من مدينة قزوين (دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي، ٩١)؛ وهي قلعة للإسماعيلية النِّزارية، ظلت مدة طويلة مقراً للزعيم الإسماعيلي الحسن الصَّبَّاح وأتباعه ومركزاً لإدارة عملياتهم (معين، فَرْهَنْك فارسي). كما كانت المنطقة التي تقع فيها هذه القلعة تدعى ألموت.

وفَتَحَتْ هذه الجيوش في ١٠ سنين أو أكثر جميعَ المدن والقلاع، وأَعمَلَتِ السيفَ في جميع الملاحدة سوى النساء والأطفال[١]، وأرسَلَتِ الباقين جميعاً إلى الجحيم، وتحقَّقت آيةُ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾»[٢].

وسيذكر مؤلِّفُنا أسماء حكّام مسلمين آخرين دعموا هولاكو في حملته على إخوانهم المسلمين، فضلاً عن حكّام غير مسلمين[٣].

هذه هي الحقيقة المُرة التي دعت الدكتور سعد الغامديّ إلى القول: «من الخطأ أن نقول بأنّ سقوط بغداد ونهاية الدولة العَبَّاسِيَّة كان قد قام به المغول فقط، إذْ أنّه لولا تعاون ومشاركة أولئك المسلمين في الإطاحة بحكومة العباسيين، لوجدَ المغولُ من الصعب جداً أن يحقِّقوا ما حقَّقوه في حملتهم تلك، ولربما أخذت مجريات الأحداث التاريخية سبيلاً غير السبيل الَّذي نعرفه»[٤].

---

(١) استناداً إلى النصوص التاريخية فإنَّ القتل شمل النساء والأطفال أيضاً بأبشع صوره في هجوم المغول الوحشي، ولم يرحموا أحداً، بل فعلوا في مدينة قزوين، مدينة هذين القاضيين ما تشيب لهوله وقسوته الرؤوس وتدمى القلوب (انظر تفاصيل ذلك لدى الجُوَيْنيّ، تاريخ جَهَانْگُشَاي، ٢/ ٥٧٩، وفي تَرْجَمَة هذا الكتاب إلى العَرَبِيَّة المعنونة تاريخ فاتح العالم، ٢/ ١٧٤ – ١٧٥). وقزوين مدينة سُنِّيَّة يقول المواطن القَزْوينيّ حمدُ الله المستوفي: «إنّ أهلها شافعية بأسرهم وليس فيها من الحَنَفيّة إلّا ما يعادل الواحد بالألف من سكانها» (انظر: نوائي، مقدمته لكتاب تاريخ گزيده، ص (يج)، نقلاً من مخطوطة ظفرنامه للمستوفي أيضاً).

(٢) مِنْهَاج سِرَاج، طبقات ناصري، ٢/ ١٨١ – ١٨٢. والآية من سورة الأنعام الرقم ١٢٩.

(٣) عن هؤلاء جميعاً وأدوارهم في تلك الحملة، انظر كتابنا إعادة كتابة التاريخ، الغزو المَغُوليّ للعراق أنموذجاً (الطبعة الثانية)، ١٩ – ٢٣، ٩٤ – ٩٧.

(٤) الغامدي، سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة، ٣٦٩.

ففي الجانب المَغُوليّ بقيادة هُولاكُو: جيوش تُحشَّد من كلّ مكان، وأسلحة ومعدات كان بعضها قد جُهِّز بواسطة الحكّام المسلمين كما حدث عندما أمدَّ بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل الجيش المغولي بما يحتاجه لغزو العراق[١]. وقد قدَّر أحد مواطني بغداد آنذاك جميع أفراد جيش هولاكو الزاحفين على المدينة بمئتي ألف مقاتل، وقال: إنّ عدد أفراد الجيش العبَّاسيّ بقيادة الدُّوَيْدار الصغير كان «دون العشرة آلاف»[٢]. بل إنّ مواطناً بغدادياً آخر قال: إنّه «دون سبعة آلاف فارس وجُلُّهم ليس بنافع»[٣].

لكن ماذا نرى على الجانب الآخر في البلاط العَبَّاسيّ، وهو أمر يهمنا لكون العراقيين ذاقوا ويلات هذا الغزو، ولكون مؤلِّفنا قُطْب الدِّين قد تناول هذا الغزو في كتابه؟

سنجد الخليفة المستعصم بالله بن المستنصر بالله الحَنْبَلِيّ[٤] (حكم خلال السنوات ٦٤٠ – ٦٥٦هـ)، منهمكاً بالطيور وإقامة المسابقات الخاصة بها، وقد قرَّب بعض الأشخاص في بلاطه لكونهم على معرفة بالطيور وأنواعها[٥].

---

(١) كان بدرُ الدين لؤلؤ والدَ زوجة الدويدار الصغير القائد العام للقوات المسلحة العَبَّاسِيَّة.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ١٨٢.

(٣) الحسني العلوي، «التحفة في نظم أصول الأنساب»، الورقة ٢٤٦. نقل هذا النص عباس العزاوي في (تأريخ العراق بين احتلالين، ٣/ ١١ (الملحق الثاني)» عن العلّامة الدكتور مصطفى جواد؛ قدَّره منهاج سراج أيضاً بـ ٢٠٠ ألف (انظر: طبقات ناصري، ١/ ١٩٥)؛ عن أعداد الجيش المغولي المنطلق من منغوليا عند بدء الغزو، انظر: مجيدي، ميمون دِز ألموت، ١١٨.

(٤) «تفقَّه على مذهب أَحمد، وتَشَبَّهَ في أوَّلِهِ في كلِّ ما هو أَحمد» (ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٤/ ٢٤٤).

(٥) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٢٧٤؛ مجهول، كتاب الحوادث، ٤٤٣.

قال المؤرِّخ النخجوانيّ: «إنَّ خاصَّته كانوا من أراذل العوام»[١]. وفي الوقت الَّذي كان فيه شحيحاً على الجنود حتى دعاهم الجوع إلى الاستجداء، كان سخيَّاً مع المطربين والعازفين والراقصات[٢]، و«كان مغرَماً بسماع الملاهي، محبَّاً للهو واللعب، يبلغه أنّ مغنِّيةً أو صاحبَ طربٍ في بلدٍ من البلاد فيراسل سلطانَ ذلك البلد في طَلَبِه»[٣].

تحدَّث نسَّابة عاش في بغداد آنذاك عن «المستعصم وتَغَفُّله وتَخَلُّفه ما إذا نزلَ التترُ على بعقوبة على سبعة أميال فما حولَها من بغداد وهو مقبلٌ على لذَّاته ولهوِه؛ ومَن تفوَّه بمجيء التتار عُوقب، وربما ذُكِرَ أنّه قَتَلَ بعضَ مَن تفوَّه بذلك»[٤].

ويقول ابن العبري: «كان إذا نُبِّهَ على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار: إمَّا المداراة والدخول في طاعتهم وتوخِّي مرضاتهم؛ أو تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبلَ تمكُّنهم واستيلائهم على العراق، فكان يقول: أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي إذا نَزَلْتُ لهم عن باقي البلاد، ولا أيضاً يهجمون عَليّ وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي»[٥].

ونُقل أيضاً عنه قوله: «إنَّ بغداد هي تَخْتُنَا ولن يدخلوها ما لم نأذَنْ لهم»[٦].

---

(١) هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، تجارب السلف، ٣٥٤.

(٢) انظر: العمري، مسالك الأبصار، ١٠/ ٣٥٦؛ ابن الطِّقْطَقَى، الفخري، ٣٣٣؛ هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، تجارب السلف، ٣٥٤؛ فارمر، تأريخ الموسيقى العَرَبِيَّة، ٢٦٨.

(٣) سبط ابن قنينو، خلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك، ٢١٥.

(٤) الحسنيّ العلويّ، «التحفة في نظم أصول الأنساب»، الورقة ٢٤٦. نقل هذا النص عباس العزاويّ في (تأريخ العراق بين احتلالين، ٣/ ١١ (الملحق الثاني)» عن الدكتور جواد.

(٥) ابن العِبْرِيّ، تأريخ مختصر الدول، ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٦) ابن العِبْرِيّ، تأريخ الزَّمَان، ٢٨٨ - ٢٨٩. التَّخْت: فارسية وتعني مقرّ المُلْك.

وكان الشريف ابن الصلايا العلويّ الوالي المخلص للخليفة على مدينة أربيل«يسيِّر إلى الخليفة ويحذِّره من التتر وهو غافل لا يجدي فيه التحذير ولا يوقظه التنبيه»[(١)]؛ والسبب كما يقول النخجواني أنَّ الخليفة «كان منشغلاً في أكثر الأوقات باللهو والصيد، وكان غافلاً عن إدارة شؤون البلاد والرعية، وكان مؤيد الدين ابن العَلْقَمِيّ يواصل تقديم التقارير المتضمنة لتنبيهه والتحذير له، لكن الخليفة لم يتنبَّه إلى شيء وازداد غفلةً»[(٢)].بل لقد كانت هناك خطة لوقف تقدُّم هُولاكُو نحو العراق اقترحها حسام الدين عكَّة حاكم دَرْتَنْك وما حولها[(٣)]، المعَيَّن مِن قِبَل الخليفة، أبلغها إلى حاكم أربيل ابن الصلايا العلوي المعَيَّن مِن الخليفة أيضاً، وشَرَحها بقوله: إنَّ بمقدوري أن أجمع مئة ألف مقاتل من الكُرْد والتُّركمان ليسدُّوا الطريق بوجه جيش هُولاكُو، ولن أدَعَ أيَّ مخلوق يصل إلى بغداد، لو أنَّ الخليفة تعاون معي وثبَّتَ فؤادي وأرسل ما لديه من الفرسان.

وقد أبلغ ابن الصلايا تلك الخطة إلى الوزير ابن العَلْقَمِيّ الَّذي ذهب إلى الخليفة وعرضها عليه لكنه لم يُعِرْها اهتماماً.

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٢١٥؛ هذا النَّص موجود أيضاً في ذيل مرآة الزَّمَان (١/ ٨٧)؛ وتأريخ الإسلام للذهبي (٤٨/ ٣٥): «كان ابن صلايا نائب إربل يحذر الخليفة ويحرِّك عزمه، والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ»؛ وعيون التواريخ، ٢٠/ ١٣٢).

(٢) هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، تجارب السلف، ٣٥٦ .

(٣) درتنك: هي مدينة حُلْوان (تعاليق الدكتور طبيبي على كتاب تحفه ناصري، ٤٦٣)، يقول حمدُ الله المستوفي عنها (نزهة القلوب، ٢٨): «الحَدُّ الَّذي يبدأ منها عُرض العراق لينتهي بالقادسية المحاذية لصحراء نجد»؛ وهذا دالٌّ على سعة المساحة التي كان يمكن أن تشتِّت جهد القوات المغولية لو أنَّ الخليفة وافق على تلك الخطة.

وقد وصلت أنباء هذه المراسلات إلى مسامع هُولاكُو فاستعمل الحيلة لإلقاء القبض على حسام الدين وقتْله[١]، ثُمَّ أضمر الشر لحاكم أربيل (ابن الصلايا)، وتمكَّن من قتْلِه بعد احتلال بغداد حيث خَدَعه بدر الدين لؤلؤ وجاء به إلى هُولاكُو[٢].

كما لم يكن المستعصم أميناً، فقد أودع لديه الملك الناصر الأيوبي ملك الكَرَك[٣] وديعة قُدّرت بمئة ألف دينار من الحلي والمجوهرات[٤] حين حلَّ ضيفاً عليه في بغداد بعد خلافه مع أُسرته في الشام، وحين طالبه بها ماطلَ وسوَّف في قصة طويلة، بل إنّه مَنَعَه من دخول بغداد بعد ذلك[٥]؛ وأخيراً قال له: إنّه قد استضافه في بغداد عند زيارته له، وإنّه أنفق عليه مبالغ ضخمة، ثُمَّ كتب قائمة بنفقات الضيافة بأسعار مضاعفة أضعافاً، احتسب فيها حتى الخبز وعلف الدوابّ بل حتى الحطب الَّذي أُشعلت به قدور الطعام[٦].

---

(١) انظر: رشيد الدِّين الهمذاني، جامع التواريخ، ٢/ ٧٠٥.

(٢) أخبار مقتله وتحريض لؤلؤ على قتله لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٥٠، ٦/ ٢٤٤ - ٢٤٥؛ ابن الجَزَرِيّ، تاريخ حوادث الزَّمَان (اختيار الذهبي)، ٢٤٧؛ الذهبي، العبر، ٥/ ٢٣٦؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٧/ ٢٤٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٥/ ٨٨؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/ ٢٠٣ - ٢٠٤. «وبنو الصلايا من الأسر العلوية الجليلة» كما يقول ابن عِنَبَة في عمدة الطالب (٣٥٠)؛ لتفاصيل أوفى، انظر: الهادي، إعادة كتابة التاريخ، ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) هو الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن عيسى بن مُحَمَّد بن أيوب الأيوبي الحَنَفيّ.

(٤) انظر مثلاً: الزركشي، عقود الجمان، الورقة ١١٢أ؛ وقدَّرها قرطاي العزي في (تأريخ مجموع النوادر، ٩٩) بخمسين ألف دينار.

(٥) انظر: قرطاي العزي، تاريخ مجموع النوادر، ٩.

(٦) انظر: اليونيني، ذيل مرآة الزَّمَان، ١/ ١٧٢؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٣/ ١٩١؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار، ٢٧/ ٢٤٠؛ العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ١٠.

وهكذا ابتلع الخليفة تلك الوديعة، ولم يرها الملك الناصر بعدها[١]، وانتشرت هذه الفضيحة في العالمين[٢]. وحين صحا من غفلته عندما كان المغول يطوقون بغداد وخصّص مبلغاً من المال لتشكيل قوة من الرماة للدفاع عن بغداد، بادر الأعيان وأعوان الديوان إلى صرف القليل منه في هذا السبيل وسرقوا أغلب الباقي[٣].

ومن مطالعة سيرة هذا الخليفة نجد أنّه لم يكن يعبأ بمواطنيه ولا يدرك تبعات ما هو مُقْدِم عليه، فقد حدث مرةً أن قُتل شابٌ من منطقة قطفتا ببغداد (وهي محلة سُنِّيَّة)، وجاء المقرّبون منه واتَّهموا أهل جانب الكرخ من بغداد بقتله وقدموا تقريراً مبالغاً فيه حول الحادث و«أطنبوا في ذمِّ أهل الكَرْخ»[٤]. والكرخ «إحدى المحالّ العَرَبِيَّة، يوُصَف أهلُها باللطف والرِّقَّة في الطباع؛ وهي مشهورة بسكنى الشِّيعَة»[٥]، وهم رافضة كما يسميهم متشددو الحنابلة آنذاك.

---

(١) انظر: ابن الشحنة، روض المناظر، الورقة ١٣٧أ.

(٢) انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٢/ ١٧٩، ٣/ ١٨٧، ١٩١؛ الزركشي، عقود الجمان، الورقة ١١٢ب؛ قرطاي العزي، تاريخ مجموع النوادر، ٩٩ – ١٠٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٧٨، ١٨٣ – ١٨٦، ١٩١ – ١٩٣؛ اليونيني، ذيل مرآة الزَّمَان، ١/ ١٣، ١٧٢؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار، ٢٧/ ٢٣٩؛ ابن سباط، صدق الأخبار، ٣٦٦؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ١١٢ – ١١٣؛ العَيْنيّ، عقد الجمان (حوادث وتراجم ٦٤٨ – ٦٦٤هـ)، ١٢٠؛ ابن أبي عذيبة، إنسان العيون، ٣٣٧ – ٣٣٨؛ ابن الوردي، تأريخ، ٢/ ١٧٦؛ الذَّهَبيّ، تاريخ الإسلام، ٤٨/ ٢٦، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٣٨٠؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ٢٠/ ٩٣ – ٩٤، فوات الوفيات، ١/ ٥٨٠؛ الصَّفَديّ، تحفة ذوي الألباب، ٢/ ١١٥؛ ابن الحريري، منتخب الزَّمَان، ٢/ ٣٤٧.

(٣) انظر: ابن الكازَرُونيّ، مختصر التأريخ، ٢٧٢.

(٤) الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، ٦٢١.

(٥) ابن باطيش، التمييز والفصل، ١/ ٤٣١. كان ابن باطيش قد عاش في بغداد إبّان تلك الحقبة.

وكان خطيب الحنابلة يلعن بإذن من المستعصم الشِّيعَةَ الإماميةَ على المنبر[١]، ولذا استسهل الخليفة أن يصدر أمراً بتأديب أهل الكرخ بأن يهاجم الجيشُ بقيادة الدويدار وهو حنبلي ونجل الخليفة وهو حنبلي أيضاً، الجانبَ الغربي من بغداد (الكرخَ) فبادرا إلى اجتياحه مع العوام واستباحته، حيث «ركب الجند إليهم وتبعهم العوام ونهبوا محلة الكَرْخ وأحرقوا عدة مواضع وسبوا كثيراً من النساء والعلويات الخَفِرات وسفكوا الدماء وعملوا كلّ منكر...» [٢]. ووصف المؤرِّخ المكين جرجس الحال بقوله: «إنّ الخليفة المستعصم بالله أمر بنهب الكَرْخ وجميعُه من شيعة عَليّ بن أبي طالب، فنهبهم العوام وأخذوا أموالهم وجميع نعمتهم ونسوانهم وأولادهم، وأباعوا بناتهم»[٣].

---

(١) هذا الخطيب هو الإمام الحَنْبَلِيّ المعروف بابن الشقاق الواعظ، ويعرف بابن أخت أبي صالح الحَنْبَلِيّ (انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٥/ ٩٨).

(٢) من المؤرِّخين الَّذين أوردوا أخبار استباحة الجيش العَبَّاسيّ والعوام للكرخ وانتهاك حرمات أهله: مجهول، كتاب الحوادث، ٣٣١؛ الذَّهَبيّ، تأريخ الإسلام، ٤٨/ ٢٣. وردت استباحة الكَرْخ وانتهاك حرمات أهله أيضاً لدى: مِنْهَاج سِرَاج، طبقات ناصري (٢/ ١٩١) بلا تفاصيل؛ مختصر أخبار الخلفاء المنسوب إلى ابن الساعي وهو ليس له جزماً (ص ١٢٦)؛ العَيْنيّ، عقد الجمان، ١٧٠ (حوادث ٦٤٨ - ٦٦٤هـ)؛ الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، ٦٢١؛ المكين جرجس، أخبار الأيوبيين، ١٦٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٢١٤؛ اليونيني، ذيل مرآة الزَّمَان، ١/ ٨٦؛ وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار، الورقتان ٣٦، ٣٧؛ مير خواند، روضة الصفاء، ٥/ الورقة٢٨٢؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٣/ ١٩٣؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/ ١٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩، انظر أيضاً: ١٣/ ٢٣٤؛ القَلْقَشَنْديّ، مآثر الإنافة، ٢/ ٩٠؛ السُّبْكيّ، طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى، ٨/ ٢٦٣؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٣/ ٥٣٧؛ وغيرهم.

(٣) المكين جرجس، أخبار الأيوبيين، ١٦٧. وفي تاج العروس للزبيدي: «أبعْتُهُ إباعةً: عَرَضْتُهُ للبَيْع».

وكان لا بدَّ لأعمال كهذه من أن تفتِّت الجبهة الداخلية للبلاد التي يحكمها خليفة عابث كالمستعصم.

لكن حين جاء المغول وطوَّقوا بغداد كان عدد أفراد الجيش غير كافٍ للمواجهة، فضلاً عن نقص في المعدات والتجهيزات، وفقر في الخطط الحربية بحيث وقع الجيش العَبَّاسيّ في كمين مغولي أدى إلى إبادة أغلب أفراده. بعد هذه الهزيمة المؤلمة التي حلَّت بالجيش العَبَّاسيّ عاد الدويدار الصغير إلى بغداد ليطلع الخليفة على تطورات الموقف، فوجده جالساً في أحد أروقة القصر وبين يديه جارية تُدعى عَرَفَة تؤدي إحدى رقصاتها[١]؛ وقد حاول الدويدار الصغير الهروب من بغداد بأمواله ومدَّخراته وبعض حاشيته في سفن بنهر دجلة لكن المغول أطلقوا عليه «حجارةَ المنجنيق والسهامَ وقواريرَ النفط واستولوا على ثلاث سفن وأهلكوا مَن فيها، وعاد الدواتدار منهزماً»[٢]. ويقول ابن الفُوَطِيّ: إنّه «أَخَذَ الأموالَ والجواهر وأراد أن ينحدر في سفينة، فاستولى المغولُ عليها»[٣].

أمّا المواطنون، فحين اجتاح المغول العراق لم يميزوا بين مواطنيه على أسس طائفية، و«راح تحت السيفِ الرافضةُ والسُّنةُ وأممٌ لا يُحصون»[٤].

---

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ٣٥٥؛ وردت هذه الواقعة في عيون التواريخ لابن شاكر، ٢٠/ ١٣٣؛ والبداية والنهاية لابن كثير ، ١٣/ ٢٣٣؛ وعقد الجمان للعيني (ص ١٧١، الجزء الخاص بحوادث السنوات ٦٤٨ - ٦٦٤هـ).

(٢) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١١.

(٣) تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٦٩.

(٤) كما يقول الذَّهَبيّ في تاريخ الإسلام، ٤٨/ ٣٧؛ انظر أيضاً: النجوم الزاهرة، ٧/ ٥٠.

وأخيراً استسلم الخليفة وساق معه حشداً من الوجهاء والعلماء لإظهار هيبته، فذبحهم المغول جميعاً، ثُمَّ دخل المغول بغداد وسأله هُولاكُو أن يدلّه على كنوزه التي تحت الأرض «فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر، فحفروا فوجدوه ملآنَ بالذهب الأحمر، وكلُّه سبائك تزن الوحدة مئة مثقال.

ثُمَّ أَمرَ هُولاكُو بإحصاء نساء الخليفة فعدُّوا سبعَ مئة زوجة وسُرِّيَّة وألفَ فلمّا اطَّلَعَ الخليفةُ على تعداد نسائه تضرَّع فقال لهولاكو: مُنَّ عَليّ بأهل حَرَمي اللائي لم تطلع عليهنَّ الشمسُ ولا القمر. فقال له هُولاكُو: اخترْ مئةً من هذه النساء السبع مئة واترك الباقي. فأخرجَ الخليفةُ معه مئةَ امرأة من أقاربه والمحبَّبات إليه»[٢]. ومن الواضح أنّ هُولاكُو كان يسخر من الخليفة[٣].

انتهى كلُّ شيء؛ قُتل الخليفة وسُبيت حشود نساء القصر من شتى الطبقات، ونصادف في ٦٦١هـ بنتاً لأحد كبار قادة الجيش العَبَّاسيّ تعيش سبيَّة في مدينة هراة، على بعد آلاف الكيلومترات من وطنها بغداد وقد حدثت بشأنها منافسة بين اثنين من أمراء المدينة، كلٌّ يريد أن يستحوذ عليها[٤].

---

(١) في تأريخ مختصر الدول، ٤٧٥: «أَمَرَ هولاكو الخليفةَ أن يفرز جميعَ النساء اللائي باشَرَهُنَّ هو وبنوه ويعزلهنَّ عن غيرهن ففعل، فكنَّ ٧٠٠ امرأة، فأخرجهنَّ ومعهنَّ ٣٠٠ خادم خصيّ».

(٢) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٣؛ ابن العِبْريّ، تأريخ مختصر الدول، ٤٧٥.

(٣) انظر ملخصاً وافياً عن الغزو المَغُوليّ للعراق في كتابنا إعادة كتابة التاريخ، ٧ - ٢٠٤.

(٤) سيف الهروي، تاريخ نامه هراة، ٢٧٣، وقال سيف عنها: «إنَّها في غاية الملاحة والجمال». وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون أن أصبح مصير تلك الفتاة النبيلة بيد اثنين من حثالة البشر القُساة.

نصّان، قطبيّ ورشيديّ

يثير التشابه في بعض النصوص لدى قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ (٦٣٤ - ٧١٠هـ) بما ورد في كتابات رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ(٦٤٨ - ٧١٨هـ)، إلى حدِّ التطابق في الألفاظ، تساؤلاً علمياً عن السبب في ذلك. خصوصاً وإنّنا نعتقد - بحكم تعاملنا الطويل مع نصوص المدرسة البَغْدَادِيَّة حول الغزو المَغُوليّ - أنّ كِلا المؤرِّخَينِ (قُطْب الدِّين ورشيد الدِّين) يستند في نُقوله إلى نصوص المدرسة البَغْدَادِيَّة؛ مع عدم إغفال مشاهداتهما الشخصية للوقائع، وهو أمر يجعل كلًّا منهما يتفرَّد برواية أخبار خاصة به.

لنضرب مثلاً بالنص الخاص بالخطة الذكية التي دبَّرها جلال الدين نجل الدويدار الصغير الَّذي غَدَرَ هُولاكُو بأبيه وقتله بعد استسلامه خلال اجتياحه بغداد سنة ٦٥٦هـ، الخطة التي أوصلته وأسرته إلى بلاد الشام؛ وسنضع في حقلين متجاورين النصّ «القطبيّ» إلى جوار النص «الرشيديّ»، لنستخلص ما يمكن استخلاصه، وسننقل النصّين بلغتهما الأصلية لكون التَّرْجَمَة لا تعطي ما نريد إثباته من خلال المقارنة اللفظية، مذكِّرين بأنّ النصّ القطبيّ مترجَم إلى العَرَبِيَّة بتمامه في كتابه الَّذي بين أيدينا:

قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ	رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ
* پسر دواتدار كوچك را كه اين پسر را جلال الدين مي گفتند بركشيده بود وبزرگ كرده، واو خويشتن را چنان فرانموده كه در همه ممالك ولشكر هُولاكُو ازو مشفق تر وراست گوى تر نيست.	* وجلال الدين پسر دواتدار كوچك را بر كشيده بود وبزرگ گردانيده واو خود را در نظر پادشاه چنان فرانموده كه در همه الوس پادشاه را ازو مشفق تر كسى نيست.

* این جلال تقریر کرد که در ولایت خلیفة هنوز چند هزار تُرْك قفجاق هست که هم راه دان اند وهم شیوه آن ولایت دانند. اگر پادشاه فرمان دهد بروم ایشان را بیاورم، تا چون به جنگ برکه رجعت فرمایی ایشان را بیاورم وپیش روی کنند ووقوف دهند [یوجد هنا ٢٠ سطراً تقریباً من الوقائع ینفرد بها قُطْب الدَّین، ثُمَّ یتصل الکلام لیتطابق ثانیة مع رشید الدِّین].

* در بندگی عرضه داشت که چون عزم دشت قبجاق مصصم است، در ولایت خلیفه هنوز چندین هزار تُرْك قبجاق هستند که راه ورسوم قبجاقیان نیکو دانند. اگر فرمان شود، بروم وایشانرا جمع گردانم تا در جنگ بِرکای مقدَّمه باشند.

* واو را مثال فرمود که هر کس را که این جلال مصلحت داند اسپ وسلاح وساخت وبرگ ونفقه تمام بدهند، حاکمان بغداد وهیچ آفریده به میان کار او در نیاید، تا آنچه به او فرموده ایم ساخته گرداند.

* هُولاکُو خان پسندیده داشت، او را یرلیغ وپایزه فرمود که حکام بغداد هر چه جلال الدین خواهد از زرّ وسلاح وآلات، بدهند وهیچ آفریده میان کار او در نیاید، تا مهمّی که بدان موسومست، ساخته گرداند.

* جلال به بغداد شد در شهور سنة اثنتین وستین وست مئة، وهر که را

* در شهور سنة اثنتین وستین وست مئة، بموجب فرمان به بغداد رفت

دانست وآن چه با او گفتند که این مردی است به کار آمده، خواه در سپاهگیری وخواه در نوعی دیگر، ایشان را طلب می کرد در خُفْیه می گفت پادشاه مرا فرستاده است تا شما را ببرم که در پیش لشکر دارد که آن جا بمیرید یا نام بر آورید. اگر خود آن جا کشته شوید به جائی دیگرتان همین شغل برجا خواهد بود.

وهر کس که در سپاهی گری پسندیده دید، به دست آورد واحیانا بکنایت وتعریض می گفت که پادشاه شما را می برد سپر بلای خصم کند: یا آنجا بمیرید یا نام آورید.

واگر در آن جنگ کشته نشوید، مصافی دیگر شما را همین واقعه مقرر خواهد بود.

* اکنون شما همه مرا می دانید که کیستم ومن روا ندارم که شما را علف شمشیر سازم به جهت کافری. من اندیشه می کنم که با آن که پادشاه با من در غایت عنایت است، ترك این دولت واقبال کافری بگویم وخود وشما را از دست این مغولان بیرون افکنم.

* وشما حسب ونسب من میدانید که چگونه است وبا شما چه نسبت دارم، وهرچند هُولاکُو خان را با من عنایت تمام است، روا نمی دارم که شما را علف شمشیر گردانم، می اندیشم که تَرْك دولت واقبال مغول باز رهانم، می باید که با من موافقت نمایید.

* چون او این سخن بگفت همه به قول او فریفته شدند ولشکری جمع

* آن قوم بقول او فریفته شدند، وبعد از آنك لشکریان متفرق را جمع

شد. او يك بار به لشكر برنشست وطبل بزد وبر جسر بغداد بگذشت وتاخت به عرب خفاجه كرد وگاوميشى چند وشُتُرى چند غارت بياورد واز خزانه بغداد جهت اين مقدار لشكر كه خود جمع كرده بود اسپ وسلاح ونفقه وعلوفه تمام بستد، وآن جماعت را با زن وفرزند وهرچشان بود كوچ فرمود كردن وباز طبل بزد وبرجسر بغداد بگذشت.

گردانيد، با طبل وعلم برنشست وبر جسر بغداد بگذشت وبر عرب خفاجه تاختن برد وگاوميش وشترى چند بغارت بياورد واجره وما يحتاج لشكريان از اسپ وسلاح ونفقه از خزانه بغداد بستد وباز لشكريان را با زن وبچه واتباع واشياع واقمشه وامتعه كوچ فرمود وباز با طبل رحيل زد وبر جسر بگذشت.

* گفت زنان وبچگان را با خود ببريم تا زيارت مشاهد مقدسه ائمه دريابند كه باشد كه ما را بعد از اين مقام در ولايات دَرْبَنْد وآن حدود باشد وبا اين جا نيفتيم وما مردان برويم وآزقاى راه را از عرب اولجه اى بياوريم يعنى غارتى، وبرفت.

* وگفت اهل وعيال را با خود ببريم تا زيارت مشاهده [في طبعة ٢٠١٦م: مشاهد] دريابند، چه من بعد مقام ما در دَرْبَنْد وشروان وشماخى خواهد بود وما لشگريان وسپاهيان برويم وآزوق راه عرب خفاجه كه ياغى اند، بياريم.

* چون از فرات بگذشت زنان خود را وعامَّه لشكر را گفت من انديشه

* چون از فرات گذشت، سپاهيان را گفت كه من عزم شام ومصر دارم،

شام ومصر دارم، هر كه ازين جا موافقت می كند فَبِها ونعمه، والاَّ هم ازين جا باز گردند.

هر كه با من می آيد فَبِها، والاَّ از اينجا باز گردد.

* ايشان را اگر نيز دل نبود كه بروند از بيم نيارستند گفت كه باز می گرديم وبه يك بار بدين شيوه ساخته وپرداخته به شام رفتند.

* ايشان از بيم شر، هيچ نتوانستند گفت وباتفاق از راه عانه وحديثه بجانب شام ومصر رفتند.

* وچون اين سخن به سمْع پادشاه رسيد، به غايتی برنجيد (أخبار مغولان در أنبانه قطب، ٣٩ - ٤٣).

* وچون آن خبر بسمْع پادشاه رسيد، به غايت برنجيد (جامع التواريخ، ٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦).

لاكلام لنا على وحدة مضامين هذين النصّين اللّذين يتحدثان عن الواقعة نفسها، لكن هذا التطابق المدهش في الألفاظ هو المثير للتساؤل، وهو دالّ على:

١ - إنَّ أحد الكاتِبين قد اقتبس من الآخر مع تغيير طفيف في استبدال كلمة بأخرى ترادفها في المعنى، أو زيادة في كلمة أو كلمتين أو حذف.

٢ - إنَّ كلا الكاتِبين قد اقتبس كلامه من مصدر ثالث، وعلينا البحث عن ذلك المصدر.

إنّنا نعلم يقيناً أنّ قُطْب الدِّين ألَّف كتابه *ابتداء دولة المغول وظهور جنكيز خان* بين سنة ٦٨٠ أو ٦٨١هـ وبين ٦٨٣هـ، حيث نجده يقف عند مقتل تكودار واعتلاء أَرْغُون العرش في تلك السنة، ومن الواضح أنّه لم يواصل تدوين مشروعه التاريخي هذا، بدليل أنّنا لا نجد فيه واقعة أبعد من سنة ٦٨٣هـ.

أمّا مجموعته التي بين أيدينا التي ضمت أخبار المغول وغيرهم، فقد انتهى منها في تأريخ يتجاوز قليلاً شهر ربيع الأول من سنة ٦٨٥هـ.

وعلى ما حقَّقناه بعد طول استقصاء، فإنَّ السلطان محمود غازان أسند إلى رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ في ١٢ رجب سنة ٧٠٠هـ مهمةَ تأليف كتابٍ في تاريخ المغول، وقد بيَّض شطراً كبيراً منه سنة ٧٠٢هـ، وعند وفاة غازان في ٧٠٣هـ، جاء رشيد الدِّين بالقسم الأول من الكتاب الخاص بتاريخ المغول إلى خَلَفِهِ السلطان مُحَمَّد خدابنده أولجايتو وعرضه عليه في ربيع الثاني سنة ٧٠٣هـ[1]؛ وهذا القسم الأول من كتاب رشيد الدِّين الَّذي تمَّ في هذه السنة هو الَّذي يهمّنا للمقارنة مع كتاب قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، لكونه خاصاً بتاريخ المغول.

لقد كانت هناك علاقة قامت بين الرجلين - برغم ما كان يشوبها من تنافس ظل يضطرم في خبايا اللاشعور لدى قُطْب الدِّين ممَّا أشرنا إليه آنفاً - وقد أقام كلا الرجلين في تبريز أيضاً، لكنّنا نستبعد أن يكون رشيد الدِّين اقتبس شيئاً ممَّا لدى قُطْب الدِّين، ذلك أنّ لدى رشيد الدِّين تفاصيل مطولة لا توجد لدى قُطْب الدِّين. والعكس صحيح أيضاً، أي أنّنا نجد لدى قُطْب الدِّين تفاصيل لا نجدها لدى رشيد الدِّين، وبإمكان القارئ الكريم أن يتتبع ذلك بما أشرنا إليه في هوامش تحقيقنا لكتابنا *ابتداء دولة المغول* ليقوم بالمقارنة الأكثر دقة. كما نستبعد أن يكون رشيد الدِّين يقتبس من كتابٍ لقُطْب الدِّين خلال حياته ثُمَّ يدَّعي ما فيه لنفسه، إذ سيشكِّل ذلك فضيحة علمية تضرّ بسمعة رشيد الدِّين الوزير والطبيب والكاتب الراسخ القدم في الكتابة في ش تى الفنون.

---

(١) بحثنا بالتفصيل مراحل تأليف كتاب جامع التواريخ في مقدمتنا للطبعة التصويرية للترجمة العَرَبِيَّة لهذا الكتاب (مخطوطة أَيَا صوفيا)، التي هي الآن تحت الطبع وستصدر عن مؤسّسة نشر التراث المخطوط في طهران.

من البديهي أنَّ قُطْب الدِّين لم يقتبس من كتاب رشيد الدِّين الَّذي بدأ بتأليفه سنة ٧٠٠هـ، أي بعد ١٩ عاماً على التأريخ الَّذي بدأ فيه قُطْب الدِّين كتابه في ٦٨١هـ.

وعلى هذا لم يبقَ سوى احتمال أن يكون كلا المؤلِّفينِ قُطْب الدِّين ورشيد الدِّين قد اقتبس نصوصَه المكتوبة من مصدر ثالث لا نعرفه لكنّه بقلم أحد أعضاء المدرسة البَغْدَادِيَّة، نستثني من ذلك ما شاهده أو سمعه كلٌّ منهما، فهذه تجارب شخصية ذات خصوصيات متميّزة ولا دخل للنقل فيها.

والاحتمال الأقرب هو أن يكون ذلك المؤرِّخ هو ابنَ الفُوَطِيّ الَّذي وصَفَه الذَّهَبيّ بأنّه «مؤرِّخ الآفاق»[١]، وأضاف: أنّه «عمل تاريخاً كبيراً لم يبيِّضه[٢]، ثُمَّ عمل آخر دونه في ٥٠ مجلداً سمّاه *مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب*»[٣]، ووصفه أيضاً بأنّه: «فاقَ علماء الآفاق في علم التأريخ وأيام الناس»[٤]، لكونه المؤرِّخ الأقرب لكليهما. وله علاقة بهما معاً ممّا كان يذكره في كتابه *مجمع الآداب*، فضلاً عن علمهما بأنّ ابن الفُوَطِيّ كان شاهد عيان على وقائع الغزو المَغُوليّ للعراق وما جاوره.

أمَّا علاقة ابن الفُوَطِيّ بالوزير والمؤرِّخ رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ وببعض أفراد أسرته فقد كانت وثيقة، حيث كان يجلُّه كثيراً، وذكر أنّه قام في مدينة بغداد مع أحد علماء عصره[٥] بمقابلة نسخة من كتابه *جامع التواريخ*.

---

(١) الذَّهَبيّ، تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٤٩٣.

(٢) سمَّى ابن الفُوَطِيّ كتابه هذا باسم التاريخ والحوادث المرتَّب على السنين، وذكره بكثرة في كتابه تلخيص مجمع الآداب (انظر مثلاً: ١/ ١٧٤، ٣٩٢، ٢/ ٢٢٨...

(٣) الذَّهَبيّ، تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٤٩٣ - ١٣٩٤.

(٤) الذَّهَبيّ، المعجم المختص بالمحدثين، ١٤٤ - ١٤٥.

(٥) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٢٦٤.

لقد كان ابن الفوطي دائم التردد على مدينة السلطانية العاصمة الجديدة للحكّام المغول ووزيرهم رشيد الدِّين[١] أو الإقامة فيها، ممّا يدعونا للقول إنّه لا بد من أن يكون قد التقى مراراً بالوزير رشيد الدِّين. وإنّ آخر تأريخ وجدناه لإقامة ابن الفوطي في السلطانية كان في رجب سنة ٧١٧هـ[٢]، أي قبل أقلّ من عام على مقتل هذا الوزير العالِم. كما كان على علاقة وثيقة جداً بغياث الدين[٣] نجل رشيد الدِّين الَّذي أصبح وزيراً بعد مقتل والده.

وأمّا علاقة ابن الفُوَطِيّ بقُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، فقد أشرنا إليها في مقدمتنا هذه وأنّه كان يلتقيه في «زاويته» بتبريز كما يحلو له أن يسمّيها.

لا ننسى أن نشير أخيراً إلى علاقة ابن الفُوَطِيّ المتميّزة بالأديب والمؤرِّخ علاء الدين عطا ملك الجُوَيْنيّ (٦٢٣ - ٦٨١هـ)، وهو يسمّيه «شيخنا الصاحب السعيد علاء الدين»، وقال في ترجمته: «هو الَّذي أعادني إلى مدينة السلام، وفوَّضَ إليَّ كتابة التأريخ والحوادث [بعد شيخنا تاج الدين عَليّ بن أنجب (ابن الساعي)]، وكتب ليَ الإجازة بجميع مصنّفاته، وأملى عَليّ شعره بقلعة تبريز سنة ٦٧٧هـ»[٤].

تُرى ما المانع من أن يستفيد كلا المؤرِّخينِ (القطب والرشيد) من علاقتهما بابن الفُوَطِيّ فيستعيران بعض كتاباته وينقلان منها كلٌّ على حدة من غير أن يعلم بأنّ المؤرِّخ الآخر قد استفاد من تلك النصوص؟

---

(١) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ١/ ١٥٢، ٢٦٢، ٤٦٥، ٢/ ٣٧٢...

(٢) انظر: المصدر نفسه، ٤/ ٥٢٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٤٥٦.

(٤) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٢/ ٢١١، ٣١٥، ٤/ ٢٥، وقال ابن الفُوَطِيّ: إنّ علاء الدين ولد سنة ٦٢٢هـ. ٤/ ٢٥، ما بين العضادتين من (تاريخ الإسلام للذهبيّ، ٥١/ ٨٢).

على أن لا ننسى احتمالاً آخر هو أن يكون كلا المؤرِّخين قد استفاد أيضاً من كتابات مؤرِّخينِ شهيرينِ عاشا تلك الحقبة هما ابن الساعي البَغْدَادِيّ (ت ٦٧٤هـ)، وابن الكازَرُونيّ البَغْدَادِيّ (ت ٦٩٧هـ) - وكتبهما كانت معروفة منذ زمن بعيد قبل أن يؤلّف القطب والرشيد كتابيهما - استفادا منها بصورة مباشرة أو بالواسطة من خلال كتابات ابن الفُوَطِيّ الَّذي بالغ في النقل من هذين المؤرِّخين البغداديينِ في كتابه *معجم الألقاب*.

إنّه احتمال نراه مقبولاً إلى أن يتمَّ العثور على نصٍّ ينير لنا بشكل جازم علَّة هذا التشابه في الألفاظ الَّذي نجده في النصّين «القطبيّ» و«الرشيديّ».

متى أَلَّفَ قُطْب الدِّين كتابه؟

أول تأريخ نجده مُعيناً لنا على تحديد الحقبة التي ألَّف فيها كتابه، هو قوله في أول الكتاب في أثناء كلامه على الملك تودا مُنكو وتسنُّمه العرش عقب وفاة أخيه مُنكوتيمور: «ومن بعده توتا مُنكو الَّذي هو الملك اليوم، أي في شهور سنة ثمانين وستمائة»[(١)]، مع أنّ رشيد الدِّين يقول: إنّ وفاة مُنكوتيمور وتسنّم توتا مُنكو العرش كان سنة ٦٨١هـ[(٢)]. إذن كانت بداية التأليف في ٦٨٠ أو ٦٨١هـ، أمّا نهايته فقد استمر يكتب الوقائع حتى التأريخ الَّذي قُتل فيه السلطان أحمد تكودار بن هُولاكُو ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة٦٨٣هـ، وبويع ابن شقيقه السلطان أَرْغُون بن آباقا خان بن هُولاكُو في يوم الجمعة ٢٧ من جمادى الأولى سنة٦٨٣هـ[(٣)]. وكأنّه كان قد وضع تاريخه هذا على منضدته يضيف إليه بين الحين والآخر ما يستجد من وقائع.

هذا ما يتعلق بمشاهداته الشخصية، أمّا ما نقله من غيره فقد بحثناه آنفاً.

---

(١) قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، ابتدا دولت مغول، الورقة ٢٢ أ.

(٢) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ١/ ٥٢٧.

(٣) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٨، ٨٠٧.

المغول والتتار

لكثرة ورود مصطلَحَي «المغول» و«التتار» في كتابات كهذه، لا بدَّ من التعريف بهؤلاء الغزاة القساة القلوب:

كانت قبيلة التتار واحدة من القبائل المغولية، وكان أفرادها يعيشون في المناطق القريبة من حدود ولايات الخِطا (الصين الشمالية)، وقد بلغوا من الشهرة والمَنَعَة حداً أن دُعي باسمهم سائر المغول وأصبحوا يعرفون بهم.

يقول المؤرِّخ المَغُوليّ رشيد الدِّين: «لمّا كان التتار في قديم الأيام مهيمنين ومسلَّطين على أغلب أقوام الولايات، وكانوا ذوي جاه وشوكة وحُرمة تامَّة، وفي غاية العزَّة، فإنّ بقية أصناف الأتراك على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم وأساميهم دعوا أنفسَهم باسمهم، فكان يُطلَق على الجميع اسم التاتار...، كما أنّه في هذا العصر، ولقوَّة شوكة جنكيز خان وأعقابه - ولكونهم مغولاً- فإنَّ بقية الأقوام من الأتراك مثل الجلائريين، والتاتار، و...، يسمُّون أنفسَهم جميعاً على سبيل التفاخر باسم المغول»[(١)].

وكانت هناك معارك وحروب بين هؤلاء التتار والمغول، ومنها ما حدث على عهد جنكيز خان حيث خاض حرباً معهم انتصر فيها وقتل كثيراً منهم ونهبَ ممتلكاتهم[(٢)].

إذن فالتتارُ قبيلةٌ من القبائل المغوليَّة، ومع ذلك فإنَّ جميع القبائل المغولية سُمِّيت باسمهم غالباً،كما حدث في حين آخر أن دُعي التتار باسم المغول.

---

(١) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ١/ ٥٧ - ٥٨.

(٢) انظر: The Secret History of the Mongols, P. 63؛ رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ١/ ٥٩، ٦١؛ أبو الغازي، شجرة الأتراك، الورقة ٢٥ أ.

استناداً إلى غروسيه، فإنّ «المغول بالمعنى التاريخي الدقيق والمحدد لهذه الكلمة، الَّذين كان جنكيز خان واحداً منهم، كانوا يتجولون في الشمال الشرقي لمنغوليا الخارجة التي تقع اليوم بين نهرَي أونون **Onon**، وكِرُولِن **Kerulen** »[١]، النهرين اللذين يقعان إلى الشمال من صحراء غوبي (**Gobi**)[٢].

ولا بدَّ من الإشارة أيضاً إلى أنّه لكون الأتراك والمغول قد سكنوا في مناطق تداخلت فيها قبائلهم فهم يذكرون معاً حتى إنّ المؤرِّخ رشيد الدِّين يُعنوِن أحد فصول كتابه *جامع التواريخ*، بالقول: «ذِكرُ أقوامٍ من التُّرك الَّذين يُلَقَّبون المغول»[٣].

منهجنا في الترجمة والتحقيق

في ترجمتنا استعملنا حيناً الألفاظ العربية السائدة في كتب التراث في عصر المؤلِّف، حتى إنّنا استعملنا الألفاظ المغولية والتركية الواردة في الأصل الفارسي لكون بعض مؤرِّخي ذلك العصر من الناطقين بالعربيَّة كانوا يدرجونها في مؤلَّفاتهم لشهرتها، وقدَّمنا أدلّة على استعمالاتها تلك، مثل: القوريلتاي أي مجلس الشورى المغولي، واليارغو أي التحقيق أو المحاكمة. وبعد الانتهاء من الترجمة اتخذنا الخطوات الآتية:

أولاً: تخريج نصوص الكتاب على المصادر الموثوق بها الخاصة بالتاريخ المغولي وأهمُّها كتاب *جامع التواريخ* لرشيد الدِّين الهمذانيّ، والإشارة إلى موارد الاتفاق والاختلاف بين كتابنا وتلك المصادر.

---

(١) **Grousset, The Empire of the steppse, p 193.**

(٢) انظر: فلاديميرتسوف، جنكيز خان، ٥١؛ تيموري، إمبراطوري مغول وإيران، ١٨؛ الغامدي، سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة، ٥٤.

(٣) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ٣٨ أ.

ثانياً: إذا وجدنا كلمة مطموسة أوسقطاً في النصّ، اقتبسناه من مصادر أُخرى ووضعناها بين عضادتين هكذا [ ]، كما وَضَعنا بين عضادتين كلَّ ما زِدناه على النصّ لإيضاح معنىً أو إكمال عبارة.

ثالثاً: عرَّفنا بإيجاز بأهم الأعلام الواردة في الكتاب. ولمَّا كانت صِيَغ كتابة أسماء الأعلام المغولية تعددت غالباً، أشرنا في الهوامش إلى تلك الصيغ، فمثلاً قنقرتاي نجل هولاكو يُكتب في المصادر: قنقورتاي، قونقورتاي، قونكقورتاي...، ممَّا قد يجعل القارئ يتصور أن كلَّ واحد من هؤلاء هو غير الآخر.

رابعاً: حرَصنا على تحديد المواقع الجغرافية بدقَّة - قدر المستطاع- وكان بعضها ذا أهمية خاصة مثل الجزيرة التي دُفِنَ فيها هولاكو وعدد من الملوك المغول، الجزيرة التي تُدعى الشَّاهِيَّة، وفيها وَضَعَ هولاكو الكنوز والأموال التي استولى عليها من العراق وغيره وسقط البُرج الذي اكتُنزَت فيه في البحر بفعل أحد الانهيارات.

خامساً: ما وُضِعَ بين قوسين داخل المتن هكذا ( )، هو لإيضاح ما قبله، مثل المُغُل (المغول)، ذلك أن صيغة «المُغُل» غير مألوفة في أغلب المصادر.

ختام وشكر

في الختام، لا بدَّ لي من توجيه خالص الشكر والتقدير لرفيقة عمري التي راجعت معي تَرْجَمَة هذا الكتاب باختيار أدقِّ الألفاظ في لغتنا العَرَبِيَّة الكريمة لتقابل ما تعنيه تماماً الجملةُ الفارسيةُ المتميِّزةُ في كتابنا هذا *ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان*، بسبب كون مؤلِّفه - الفارسي اللغة والأُممي الثقافة- عاش بين ظهراني العرب والفرس والمغول والتُّرك، كما تابَعَتْ - وكان هذا هو شأنها في جميع ما أصدره من كتب التراث-

التجاربَ الأولى للطبع وتصحيحَ الملازم وإعدادَ الفهارس التفصيلية بصَبر وجَلَد.

كما أشكر أفلاذ كبدي أزهر وأنور وعماد الَّذين كانوا يشكِّلون لي في كلّ مشروع من مشاريعي البحثية والتحقيقية فريقاً متماسكاً يمدُّ لي يد العون في الطباعة أو جلب المصادر، أو إصلاح ما يحدث من مفاجآت في جهاز الطباعة الخاص بي وما أكثرها. فليجعل اللهُ ذلك لهم بِرَّاً بي، وليكتبهم في ديوان الأبرار.

لا يفوتني أن أتقدَّم بالشكر الجزيل للسادة المشرفين على مركز إحياء التراث التابع للعتبة العَبَّاسِيَّة المقدَّسة على رعايتهم لهذا المركز بما يضمن مواصلة البحث عن كنوز تراثنا الإسلاميّ ونشره، وفَّقَهم الله لهذه الجهود العلمية. وأخصّ بالذكر الأستاذ علي حبيب العيدانيّ على ما بذله من جهدٍ في مراجعة الكتاب من الناحية اللغوية.

آمل أن أكون قد قدَّمتُ ما ينفع الناس، ممّا هو مصداق قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[1].

يوسف الهادي

في ٢٠١٦/٤/١٥

---

(١) سورة الرعد: ١٧.

نماذج من النسخة المعتمدة

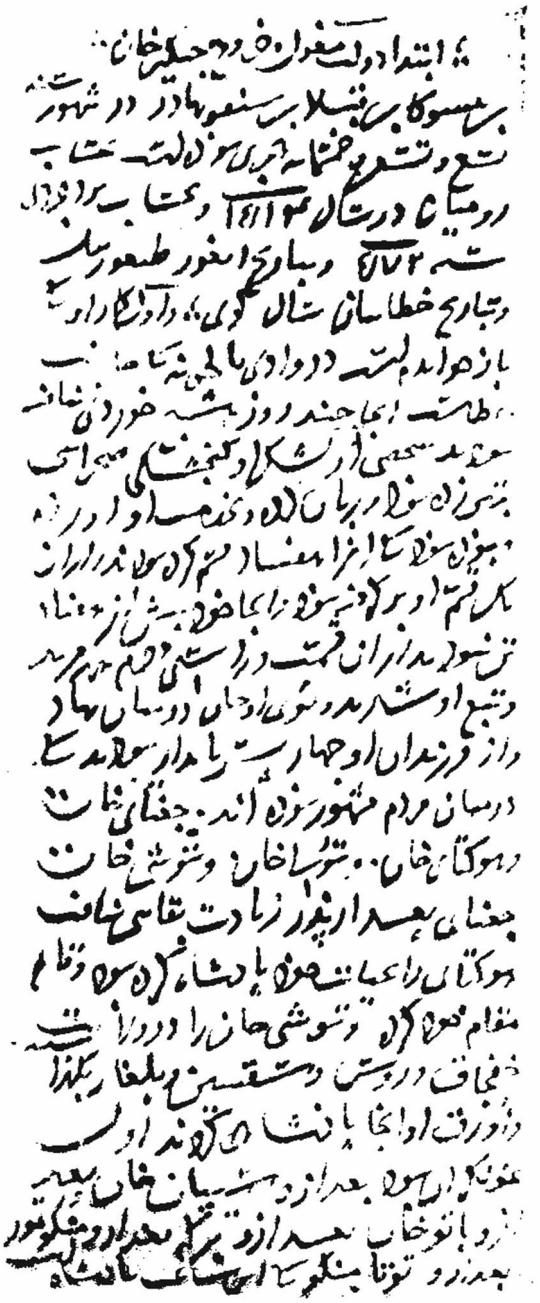

الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة

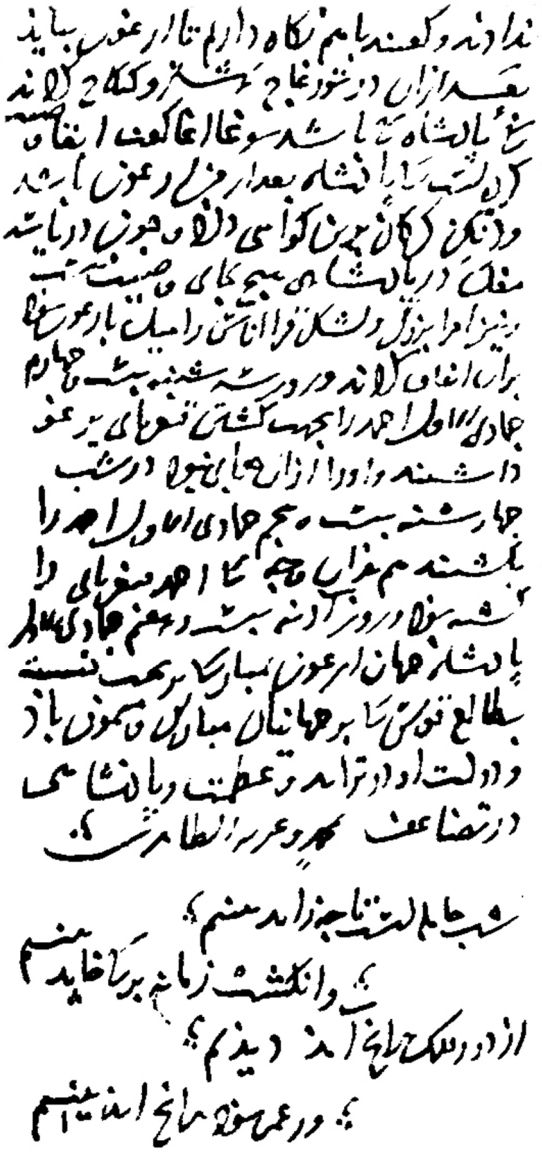

الصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة

فهرس المحتويات

كلمة المركز ٥

مقدمة المحقِّق ٩

بين قُطْب الدِّين ورشيد الدِّين ٢١

موسوعية قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ ٢٦

مخطوطة الكتاب ٣٤

كتاب ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان وأهميته ٣٧

المثلَّث الذَّهَبيّ لمؤرِّخي بغداد ٣٨

عنوان الكتاب ٤٠

أهمية الكتاب التاريخية ٤١

نصَّان، قطبيّ ورشيديّ ٥٤

متى أَلَّفَ قُطْب الدِّين كتابه؟ ٦٢

المغول والتتار ٦٣

منهجنا في الترجمة والتحقيق ٦٤

ختام وشكر ٦٥

نماذج من النسخة المعتمدة ٦٧

ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان ٧٣

سنة نيِّف وخمسين وستّ مئة هجرية ٧٩

سنة إحدى وخمسين وست مئة هجرية ٨٥

سنة ثلاث وخمسين وست مئة هجرية ٨٧

سنة خمس وخمسين وست مئة هجرية.....٩٠
سنة ست وخمسين وست مئة هجرية ٩١
سنة سبع وخمسين وست مئة هجرية ١٠١
سنة ثمان وخمسين وست مئة هجرية ١٠٣
واقعة من وقائع سنة ست وخمسين وست مئة هجرية.....١٠٩
سنة اثنتين وستين وست مئة هجرية.....١١٠
سنة ثلاث وستين وست مئة هجرية.....١١٣
سنة سبع وستين وست مئة هجرية.....١١٥
سنة خمس وسبعين وست مئة هجرية.....١١٧
سنة تسع وسبعين وست مئة هجرية ١٢١
سنة ثمانين وست مئة هجرية.....١٢٤
سنة إحدى وثمانين وست مئة هجرية.....١٢٦
سنة اثنتين وثمانين وست مئة هجرية.....١٢٧
سنة ثلاث وثمانين وست مئة هجرية ١٣٠
قائمة بالكلمات المغولية أو المغولية/ التركية أو الفارسية ١٤٣
فهارس الكتاب ١٤٩
فهرس الأعلام ١٥١
فهرس المواضع والمدن والبلدان.....١٥٩
فهرس الأمم والقبائل والطوائف والفرق وأصحاب المِهَن.....١٦٧
المصادر والمراجع ١٧١
فهرس المحتويات.....١٩٣

منشوراتنا

تشرّفت مكتبتنا - مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة -

بنشر العناوين الآتية بعد العمل بها تحقيقاً أو مراجعةً أو إعداداً:

(١) **العبّاس عليه السلام.**

تأليف: السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرّم (ت١٣٩١هـ).

تحقيق: الشيخ محمّد الحسون.

(٢) **المجالس الحسينيّة (الطبعة الأولى والثانية)**

تأليف: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

تحقيق: أحمدعلي مجيد الحلّي.

راجعه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(٣) **سند الخصام في ما انتخب من مسند الإمام أحمد بن حنبل.**

تأليف: الحجّة الشيخ شير محمّد بن صفر علي الهمداني (ت١٣٩٠هـ).

تحقيق: أحمد علي مجيد الحلّي.

راجعه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(٤) **معارج الأفهام إلى علم الكلام.**

تأليف: الشيخ جمال الدين أحمد بن علي الجبعيّ الكفعميّ (ق٩).

تحقيق: عبدالحليم عوض الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٥) **مكارم أخلاق النبيّ والأئمّة عليهم السلام**

تأليف: الشيخ الإمام قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ).

تحقيق: السيّد حسين الموسويّ البروجردي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٦) **منار الهدى في إثبات النص على الأئمّة الاثني عشر النُجبا.**

تأليف: الشيخ عليّ بن عبد الله البحرانيّ (ت ١٣١٩ هـ).

تحقيق: عبدالحليم عوض الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٧) **الأربعون حديثاً. (الطبعة الأولى والثانية)**

اختيار: السيّد محمّد صادق السيّد محمّد رضا الخرسان (معاصر).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(٨) فهرس مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.(الجزء الأول والثاني)

إعداد وفهرسة: السيّد حسن الموسوي البروجردي.

(٩) الصولة العلوية على القصيدة البغدادية.

تأليف: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(١٠) ديوان السيّد سليمان بن داود الحلّي.

دراسة وتحقيق: د. مضر سليمان الحسيني الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١١) كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار عجل الله فرجه.

تأليف: العلاّمة الميرزا المحدِّث حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠ هـ).

تحقيق: أحمد علي مجيد الحلّي.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(١٢) نهج البلاغة (المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام).

جمع: الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ).

تحقيق: السيّد هاشم الميلاني.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٣) مجالي اللطف بأرض الطف.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠ هـ).

شرح: علاء عبد النبي الزبيدي.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(١٤) رسالة في آداب المجاورة (مجاورة مشاهد الأئمة عليهم السلام).

من أمالي: العلاّمة الشيخ حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ).

حرّرها ونقلها إلى العربية: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

تحقيق: محمّد محمّد حسن الوكيل.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٥) شرح قصيدة الشاعر (محمّد المجذوب) على قبر معاوية.

الناظم: الشاعر الأستاذ محمّد المجذوب.

شرح: الشيخ حمزة السلامي (أبو العرب).

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التأليف والدراسات.

(١٦) دليل الأطاريح والرسائل الجامعية. (الجزء الأول والثاني)

إعداد: وحدة المكتبة الإلكترونية.

(١٧) الدرر البهية في تراجم علماء الإمامية.

تأليف: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(١٨) جواب مسألة في شأن آية التبليغ.

تأليف: الشيخ أسد الله الخالصي الكاظمي (١٣٢٨هـ).

تحقيق: ميثم السيّد مهدي الخطيب.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٩) ما نزل من القرآن في علي ابن أبي طالب عليه السلام.

تأليف: أبي الفضائل أحمد بن محمّد بن المظفّر بن المختار الحنفي الرازي (ت٦٣١هـ).

تقديم: السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان.

تحقيق وتعليق: السيّد حسنين الموسوي المقرّم.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٢٠) درر المطالب وغُرر المناقب في فضائل علي ابن أبي طالب عليه السلام.

تأليف: السيّد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي.

تحقيق: الشيخ محمّد حسين النوري.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٢١) تصنيف مكتبة الكونغرس.

المجلد الأول: تاريخ آسيا، أفريقيا، استراليا، نيوزلندا.

المجلد الثاني: الفلسفة العامة، المنطق، الفلسفة التأملية، علم النفس، علم الجمال، علم الأخلاق.

المجلد الثالث: العلوم الملحقة بالتاريخ.

ترجمة: وحدة الترجمة.

(٢٢) العباس عليه السلام سماته وسيرته.

تأليف: العلّامة السيّد محمّد رضا الجلالي الحائري (معاصر).

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٣) من روائع ما قيل في نهج البلاغة.

إعداد: علي لفتة كريم العيساوي.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٤) دليل الكتب الإنكليزية. (الجزء الأول والثاني)

إعداد: وحدة المكتبة الإلكترونية.

(٢٥) موجز أعلام الناس ممّن ثوى عند أبي الفضل العباس عليه السلام.

تأليف: السيّد نور الدين الموسوي.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٦) تراجم مشاهير علماء الهند.

تـأليف: السـيّد علـي نقـي النقـوي (ت١٤٠٨هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٢٧) كنز المطالب وبحر المناقـب فـي فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

تأليف: السيّد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي (كان حياً سنة ٩٨١هـ).

تحقيق: السيّد حسين الموسوي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٢٨) فن التأليف

تأليف: السيّد محمّد رضا الجلالي.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٩) وشائح السرّاء في شأن سامراء.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠هـ).

شرحه وضبطه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٣٠) ذكر الأسباب الصادة عن إدراك الصواب. (سلسلة تراثيات/ ١)

تـأليف: أبـي الفـتح الكراجكـي (ت٤٤٩هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٣١) فهرس مخطوطات مكتبة الإمام الخوئي قدس سره. (الجزء الأوّل)

إعداد وفهرسة: أحمد علي مجيد الحلّي.

إصدار: مركز تصوير المخطوطات وفهرستها.

(٣٢) كربلاء في مجلّة لغة العرب. (سلسلة اخترنا لكم/ ١).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٣٣) رسالة الحقوق للإمام السجّاد عليه السلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

تأليف: الدكتور علي فاخر الجزائري.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٤) معجم ما أُلّف عن أبي الفضل العباس عليه السلام. (باللغة العربية)

إعداد: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٥) أبو الفضل العباس عليه السلام في الشعر العربي.

(الجزء الأول).

(الجزء الثاني).

(الجزء الثالث).

جمعه ورتّبه: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٦) لقمان الحكيم ووصاياه.

تأليف: السيّد محمّد رضا آل بحر العلوم.

مراجعة: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٧) صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد عليهما السلام.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠هـ).

شرحه وضبطه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٣٨) المختصر في أخبار مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر.

تأليف: السيّد صفي الدين ابن الطقطقي (ت حدود ٧٢٠هـ).

تحقيق: السيّد علاء الموسوي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٣٩- ٥٩) موسوعة العلّامة الأُوردبادي قدس سره.

تأليف: الشيخ محمّد علي الأُوردبادي (ت ١٣٨٠هـ).

جمع وتحقيق: سبط المؤلّف السيّد مهدي آل المجدّد الشيرازي.

بنظر ومتابعة: مركز إحياء التراث.

(٦٠) بغداد في مجلّة لغة العرب القسم الأول. القسم الثاني. القسم الثالث. القسم الرابع.

(سلسلة اخترنا لكم/ ٢)

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٦١) ما وصل إلينا من كتاب مدينة العلم (في ضمن سلسلة التراث المفقود).

تأليف: الشيخ أبي جعفر محمّد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ).

جمع وتقديم وتحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٢) مُسند أبي هاشم الجعفري.

تأليف: ابو هاشم الجعفري (ت ٢٦١هـ).

جمعه وحققه وعلق عليه: الشيخ رسول الدجيلي(الجيلاوي).

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٦٣) تعليقة الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله على أدب الكاتب.

تحقيق: الدكتور منذر الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٤) **أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات.**

للسيّد العلّامة علي نقي النقوي (ت١٤٠٨هـ).

أعدّه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث .

(٦٥) **لآلئ النيسان (ديوان العلّامة الحجة السيّد محمّد علي خير الدين الموسوي الحائري (ت١٣٩٤هـ).**

ضبطه: عدّة من الأدباء.

مراجعة: وحدة التأليف والدراسات.

(٦٦) **النجف في مجلّة لغة العرب.**

(سلسلة اخترنا لكم/٣).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٦٧) **تعليقة على خاتمة المستدرك.**

للسيّد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ).

جمع وتحقيق: الشيخ ضياء علاء هادي الكربلائي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٨) **نور الأبرار المبين من حِكم أخ الرسول أمير المؤمنين**عليه السلام.

لمحمّد بن غياث الدين الشيرازي الطبيب (ق ١١ هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث .

(٦٩) **البصرة في مجلّة لغة العرب.**

(سلسلة اخترنا لكم/٤).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٧٠) **بحوث الملتقى العلمي الثاني للفهرسة والتصنيف.**

إعداد: مركز الفهرسة ونظم المعلومات.

(٧١) **الحلة في مجلّة لغة العرب.**

(سلسلة اخترنا لكم/٥).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٧٢) **وفيات الأعلام.**

(المجلد الأول) (المجلد الثاني)

للعلاّمة السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت١٣٩٩هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٣) **تعليقة على ذخيرة المعاد.**

للعلّامة المجدد المولى محمّد باقر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥هـ).

حرّرها: الشيخ جواد بن زين العابدين الدامغاني.

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٤) ابتــداء دولــة المغــول وخــروج جنكيزخان.

(الكتاب الذي بين يديك)

تـأليف: العلّامـة أبـي الثنـاء قطـب الـدين محمـود بـن مسـعود الشـيرازيّ الشـافعيّ (ت ٧١٠ هـ).

ترجمة وتحقيق: الأستاذ يوسف الهادي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

قيد الإنجاز

(٧٥) **الإمام المُجتبى الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**عليه السلام

للسيّد عبد الرزاق الموسويّ المقرّم (ت١٣٩١هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٦) **قطعة من كتاب الفتوح.**

تأليف: ابن أعثم الكوفيّ (ت حدود ٣١٤ هـ).

تحقيق: الشيخ قيس العطّار.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٧٧) **إجازات الرواية والاجتهاد للعلّامة النقوي.**

للسيّد علي نقي النقويّ (ت١٤٠٨هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٨) **رسالة في مصنّفات السيّد حسن الصدر.**

للسيّد حسن الصدر الكاظميّ (ت١٣٥٤هـ).

تحقيق: حسين هليب الشيباني.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٧٩) **هدية الرازي إلى المجدّد الشيرازي.**

للعلّامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٨٠) **عنوان الشرف في وشي النجف (أُرجوزة في تاريخ مدينة النجف الأشرف).**

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماويّ (ت١٣٧٠هـ).

شرحها وضبطها ووضع فهارسها: مركز إحياء التراث.

(٨١) **تعليقة على الكفاية.**

تأليف: السيّد محمّد العصّار اللواسانيّ (ت ١٣٥٦هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحليّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٢) **مرآة الفضل والاستقامة في أحوال مصنّف مفتاح الكرامة.**

تأليف: السيّد محمّد جواد بن حسن الحسينيّ العامليّ (ابن حفيد

المصنّف) (ت ١٣١٨هـ)

تحقيق واستدراك: السيّد ابراهيم الشريفيّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٣) يوميات السّيد محمّد صادق آل بحر العلوم رحمه الله.

تأليف: السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ.

مركز إحياء التراث.

(٨٤) محمّد طاهر الفضليّ السماويّ: حياته و آثاره ١٨٧٦ - ١٩٥٠م، دراسة تاريخية. (سلسلة رجالات الشيعة).

تأليف: الأستاذ ياسر عبد عكال الزيادي السماويّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٥) رسالة في جوائز السلطان. (سلسلة تراثيات).

تأليف: السيّد محمّد العصّار اللواساني (ت١٣٥٦هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحليّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٦) ما وصل الينا من تراث ابن قبة الرازي (ق ٣ هـ). (سلسلة التراث المفقود).

إعداد وتحقيق: حيدر البياتيّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

Mongol invasion of the Islamic world, most in its heyday, an era that witnessed the Hulagu's invasion of Ismaili fortresses in Iran, and the invasion of Iraq, which ended up dropping the Abbasid caliphate, as well as the book contains geographic benefits that are not found in other sources.

The book was written in Persian language. Master reviewer Yusuf Al-Hadi has translated texts and reviewed them scientifically, then he has made comments with great benefits. He also has brought forward a fine historical study discussed the author's life, the book importance and its position among some books authored about that era and nearby it, relying in all of that on the important historical sources, including manuscript and unique transcripts, including rare manuscripts and editions.

Heritage revival centre in the manuscripts house of Al-Abbas Holy shrine has adopted publishing this book after rigorous scientific review and technical production.

A briefed introduction

The book of the (Mongol Accounts) is a historical book written by Abu Al-Thana' Qutb Ad-Din Mahmoud ben Massaud son of the reformer Esh-Shirazi, who passed away in (710 AH – 1310). He was encyclopedic scholar and one of the students of Khawajah Nasir Ad-Din al-Tusi (may Allah mercy him). – It highlights one of the historical era of the Mongol empire and consists of the accounts of the ruling family and princes and what they did in their invasion of the Muslim countries, which portrays to us some of the fine details that may be novel – And about Mongol invasion of Baghdad and its fall at the hands of Hulagu and some events synchronized the invasion, then the end of Hulagu and the struggle for power in the Mongol empire after him. The book also presents us the reality of Mongols' rule and their maintained policy, some laws as well as their Behaviorisms or other beliefs in the state administration and in wars.

The importance of this book is that the author had witnessed the most important facts accompanied the

Ibtida' Dawlat Al-Maghol Wa Khurouj Genkeiz Khan

The Beginning of the Mongol Empire and the Departure of Genghis Khan

By

The Scholar, Abi Al-Thana' Qutb Ad-Din Mahmoud Ben Masoud Esh-Shirazi Esh-Sha'fi'i

(634-710 A.H.)

Translated and Reviewed by

Yusuf Hadi

Reviewed by

The Heritage Revival Centre

In the House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine